

نهارك سعيد

أحمد ربيع

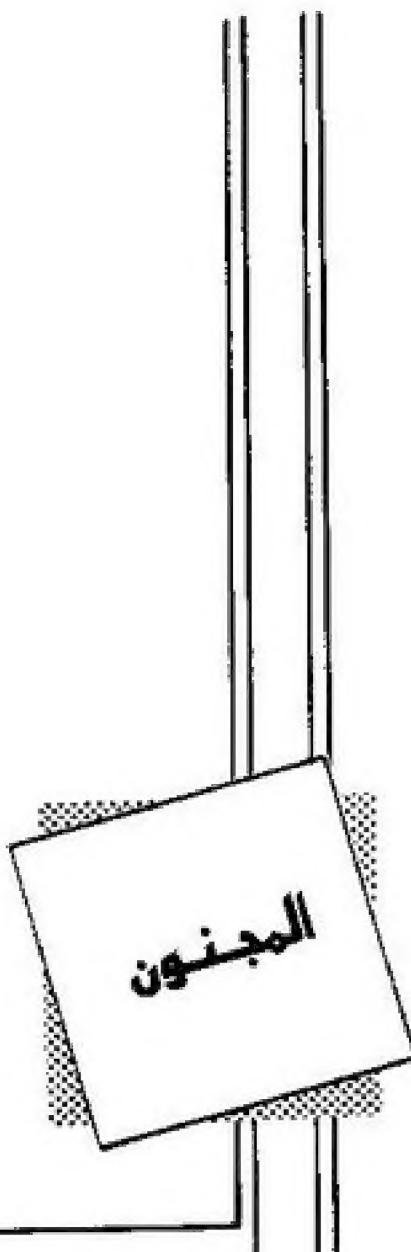


Looloo

www.dvd4arab.com

مصطفى

إذا كنت أعزب نهارك أبيض
وإذا كنت متزوجاً نهارك سميد
أحمد رجب



المجننون

رأينا محسن وداليا في منزل صديقنا عزيز ليلة رأس السنة . كانا
يتتحيان ركننا هادئا ، وكان المشهد يؤكد أنهما عاشقان تفرغ كل
منهما لحب الآخر .

ولم نصدق بسهولة الحقيقة التي تكشف لنا وهي أن محسن وداليا متزوجان من ست سنوات !

وكان انضمام محسن وداليا إلى مجموعتنا كصديقين جديدين حدثاً مشيراً لأيام طويلة ، فقد كانت المشاهد الرومانسية التي تحدث أمامنا مذهشة حقاً بالنسبة لزوجين لهما أقدمية في الزواج مدتها ست سنوات .

كان محسن يتحدث إلى داليا كملكة ، ويعاملها كأميرة ، ويدللها كطفلة . إذا سار بجوارها طوقها بساعده ، وإذا همت بالجلوس إلى مائدة كان خلفها يحيطها بالذراعين حتى تجلس ، وإذا جلست عانقت أصابعه أناملها .

وأطلقنا عليهما : قيس وداليا !
وأصبحت مشاهد الحب التي لا يظهران إلا في إطارها مادة خصبة لتهكم زوجاتنا ، وصار التليفون في بيوتنا مشغولاً بالساعات : زوجة على سماعة ، وزوجة على سماعة أخرى ، وفي سلك التليفون - دائماً - سيرة قيس وداليا !

وكان صديقنا الدكتور نور أشدنا اهتماماً بهذا الغرام الرومانسي الحاد بين الزوجين ، وقال دكتور نور أنه - كطبيب نفسي - قد درس شخصية محسن وتصرفاته ويمكن القول بأن محسن يعاني « حالة عقلية » .

— مجنون ؟

— طبعاً

— لأنه يهيم غراماً بزوجته ؟

— كلا ، ولكن لأن نموه النفسي توقف عند طور المراهقة . المفروض أن يكون قد تجاوز هذه المرحلة . الحب الناري نفسه - أو الغرام - هو أيضاً مجرد مرحلة . .

* * *

لا أحد يعرف كيف تحول التيار - من جانب زوجاتنا - من تهكم
وسخرية إلى إعجاب ممزوج بالحسد لمحسن وداليا !

أصبحنا - نحن الأزواج - نستشعر الحرج البالغ وزوجاتنا
يمصمصن الشفاه حزنا وحسرة على الحظ العاثر الذي ألقى بهن إلى
أزواج نسوا تنهدات الحب وهمس الغرام !

ولم يكن أمامنا - كأزواج - للإفلات من هذا المأزق إلا التعلق
بالأمل الذي لاح وهو أن يثبت الدكتور نور لزوجاتنا أن محسن مختل
العقل .

فلقد تحول محسن - في نظر الزوجات - إلى مثل أعلى للزوج
الباهر الذي يضيف على الزواج سحر الحب ورومانسية الغرام ،
ويستطيع بحرارة عواطفه المتجددة دائما أن يقهر ملل الليالي ورتابة
الأيام .

وعندما انسحب صديقنا عاطف من لقاءاتنا بحجة كثرة العمل ،
لم أكن أعرف أن انسحابه يخفى وراءه حكمة ، فلقد قال لي فيما
بعد : إن رومانسيات محسن وزوجته التي تجرى أمام عيوننا تمثل
أخطر الأفكار الهدامة !

وصديق الرجل ، فذات مساء قالت لي زوجتي :

— برامج التليفزيون مملة الليلة .

— ماذا تقترحين ؟ نخرج ؟

قالت بحماسة بالغة :

— لا . نتكلم في التليفون .

— نكلم من ؟

— أنا وأنت نتكلم معا مثل داليا ومحسن ، انهما يتحدثان في
التليفون بالساعات في البيت ، هو في غرفة يمكس بسماعة وهي
في غرفة أخرى .

— من قال لك هذا ؟

— داليا .

— ولماذا لا يتحدثان وجها لوجه ؟

التليفون فيه رومانسية .. تصور ماذا قال لها محسن وهو يحدثها
من الغرفة الأخرى .. يا حبيبتى .. عنديما تغادرين الغرفة التي
أجلس فيها إلى غرفة أخرى فإنني أشعر بالغربة .. تصور ..
اسمع .. سأذهب أنا إلى الصالة وحديثي أنت بالتليفون من
هنا .

وبسرعة ، اختفت زوجتي ثم جاءني صوتها من بعيد عبر
الممر :

— ارفع السماعة وكلمني .

رفعت سماعة التليفون وقلت لها .

— تحت أمرك .. أفندم .

— كلمني .

— ماذا أقول ؟

— ما كنت تقوله لي زمان .

— ماذا كنت أقول زمان ؟ .. تعرفين أنني ضعيف الذاكرة .

— كنت تعبر لي عن حبك بالتليفون :

— ولكنني أحبك في كل لحظة وليس في التليفون فقط .

— كلامك حلو .. استمر .

انتظرت زوجتي برهة لكي أتكلم لكنني لم أجد كلاما ، فعادت
تقول ..

— تكلم .. ألا تعرف ماذا يقول الإنسان عندما يمكس بسماعة
التليفون ..

— يقول ألو .. وإذا كان إيطاليا قال برونو .

قالت بعصبية :

- إذن فانت لاتنوى أن تكلمنى فى التليفون . ووضعت زوجتى سماعة التليفون بعنف وبدأت أزمة حادة .
- ولم أكن وحدى ضحية هذا المذهب الجديد : « المحسنيزم » ، فقد انتشرت ردود الفعل فى كل بيت ..
- .. فى بيت صديقنا رشدى - مثلا - سألته زوجته ثريا :
- لماذا لا تفعل مثل محسن ؟
- قال فى غيظ مكبوت :
- وماذا يفعل محسن ؟
- عندما يتأخر فى العمل عن موعد الغداء يرسل إلى داليا باقة زهور ومعها سطور حب رقيقة يعتذر فيها عن تأخره .
- باقة زهور ؟ .. من قال لك هذا ؟
- داليا .
- زوجة المجنون ؟
- أريدك مجنونا مثله ، فترسل الزهور وكلمات الحب .
- ألا يكفي البيت مجنون واحد .. أنت .
- فعلا أنا مجنونة لأنى أرتضى هذه الحياة معك . وإنهارت ثريا باكية .

ازداد تعلقنا بأمل أن يثبت الدكتور نور جنون هذا الرجل الرومانسى الذى بدأ يحطم بيوتنا . فقد أصبح الدكتور نور طرفا فى الخصومة وبات يلعن ذلك اليوم الذى رأى فيه ذلك الملتاث محسن وزوجته المتخلفة عقليا داليا .

ففى سبيل دراسة شخصية محسن ، جلس يستمع إلى زوجته كريمة وهى تحكى كيف سيحتفل محسن وداليا فى الشهر القادم بعيد أولقاء بينهما . وقالت كريمة إن محسن وداليا سوف يعيدان

تمثيل ما جرى فى ذلك اليوم ، فسير خلف داليا فى شارع الزهور بمصر الجديدة وهو يقول : ردى .. كلمينى .. من أنت أيها الملاك ؟ .. وسوف تنهره داليا بينما هو يصر على تعقبها .

ظهرت معالم التقزز الشديد على وجه الدكتور نور وهو يقول :

— ما هذا العبث الصياني ؟

فأردفت كريمة تشرح :

— أصل القصة أن محسن لمح داليا من بعيد فى القطار فأحس بسهم الحب ينفذ إلى قلبه ، وأسرع خلفها غير أنه فقد أثرها فى محطة القاهرة .. حتى لمعها مصادفة تسير فى شارع الزهور فتعقبها ليطلب يدها من أسرتها .

قال الدكتور نور بنفس الاشمزاز :

— تقولين أنهما سيعيدان تمثيل هذا الهراء ؟

— كما يفعلان كل عام .

منصرفا بذهنه تماما إلى دراسة هذا الخبر الجديد ، لم يلاحظ الدكتور نور أن زوجته مبهورة بالفكرة . لقد فوجئ تماما وكريمة تقول له :

— لماذا لا نعيد نحن أيضا تمثيل أول لقاء لنا ؟ إن داليا تقول إن

هذا يجدد شباب الحب .

تأملها الدكتور نور مرفوع الحاجبين ثم قال :

— ماذا قلت ؟

— نعيد تمثيل ما حدث عندما كنت أزور عمى فى عوامتها ، فانزلت قدمى وسقطت فى النيل . ومن العوامة المجاورة قفزت أنت إلى الماء بملابسك لتنقذنى ..

وتسلط تأثير الذكرى على مشاعر كريمة فطوقت زوجها بذراعيها وهى تنهد : يا حبيبى يا نور !

ثم أضافت : ليتنا نعيد تمثيل ما فعلناه .
— أغوص بملابسي في النيل في برد يناير ؟
قالت في نعومة ودلال :

— وحياتي عندك .
فجأة ، انتفض الدكتور نور واقفا في صيحة رهبة : مختلة ..
ثم أردف يردد في صياح هستيري : مختلة .. مختلة ..
ولم يكثرث الجيران ، فقد عرفوا من زمن بعيد أن مختلة هو اسم
التدليل الذي يطلقه دكتور نور على زوجته ، كما أن الصوت
المرتفع الذي يسمعه بعد ذلك ليس صوت بكاء الدكتور نور ، بل
هو - كما قال لهم من قبل - تنفيس دمعى .

بصبر نافذ ، أنتظرنا تلك الليلة التي دعونا فيها محسن ليرد على
أسئلتنا : كيف الطريق إلى حياة رومانسية دائمة مع الزوج ، ومن
خلال المناقشة سوف يثبت الدكتور نور أمام الزوجات أن محسن
مصاب بالجنون .

وجاءت الليلة الموعودة .
وتألق محسن واكتسح . كان رائعا . وكان منطقيا . وكان حديثه
جذابا ومرحا ، ودهشنا لأن الدكتور نور لاذ بالصمت .

لم يناقش ، ولم يحاول أن يقنع الحاضرين بالنظرية التي توصل
إليها أخيرا وهي أن عظمة أنف محسن وشحمة الأذن عنده وفكه
الأسفل تنبئ جميعا بأنه سفاح ودموى وأن داليا مصيرها أسود .

قال محسن في تلك الليلة :
— لقد عرفت الطريق إلى السعادة الزوجية الدائمة من خالى ،

فبسبب ظروف خاصة عشت مع هذا الخال منذ طفولتى ، وكانت
في حياة خالى مأساتان :

الأولى خوفه من أن ترفض مدام لولو الزواج منه ، والمأساة
الثانية هي أن مدام لولو لم ترفض الزواج منه .

ففى بيت خالى رأيت الحب وكيف يكون جميلا ورائعا وهو
ينبض بالحياة ، ثم رأيت الحب وكيف يسقط صريعا بخناجر
العشاق - لاتصدقوا أن الحب يسعى إلى الخلاص من نفسه ،
فالحب لا يتحرر أبدا . نحن الذين نقتله .
وقد تعلمت كيف أحمى حبي من نفسى .

قال محسن :

— فى بيت خالى عاصرت حياة القبلية ، كيف تولد على يد
الحبيبة عند التعارف ، ثم تنتقل إلى وجهها أيام الغرام ، ثم تنتقل
إلى جبينها بعد شهر العسل ، ثم تنتقل إلى راحة الله .
وقد تعلمت كيف تعيش القبلات .

قال محسن :

— وفى بيت خالى رأيت الحب يبدأ همسا . فى الهمس
يتفاهم الحبيبان . فى الصباح لا أحد يسمع الآخر . أصبح خالى
يصيح كثيرا . زوجته تصيح كثيرا . بسبب غيرتها أصبحت شديدة
التسلط والسيطرة ، لم تكن تسمح لخالى بأن يدس أنفه فى أى شأن
من شئون الحياة المشتركة . الشيء الوحيد الذى كانت تسمح له
بأن يدس أنفه فيه هو منديله .

قال محسن :

— فى الحب كل طرف ينصت للآخر ، ومن هنا يأتى التفاهم .
ولم يكن التفاهم بين خالى وزوجته معدوما تماما ، ففى سبيل هذا
التفاهم سعى خالى كثيرا إلى فتح حوار معها كما سعت هى أيضا ،

وكان كل منهما لا يسمع حوار الآخر ، وكان سكان الشارع يسمعون الاثنين . ولم يتوقف هذا كله إلا عندما انضم إلى الحوار طرف ثالث عاقل بدا يستمع إلى الطرفين وهو قاضى الأحوال الشخصية .

قال محسن :

لقد رأيت عذاب خالى وشقاء زوجته بعد رحيل الحب ، لكننى لم أكره الحب . الحب جميل . المحبون هم الذين يشوهون الحب .

قال محسن :

— أنا لا أصنع معجزة كما تتوهمون ، فما أبسط مطالب الزوجة لكى تغمر زوجها بالحب ، إنها لا تطلب أكثر من الاهتمام والحماية والحنان ولمسة اليد .

لقد كان واضحاً أن محسن قد قهر الدكتور نور تماماً ، ولكن الدكتور نور كان يتوعد بكشف حقيقة هذا المجنون ، غير أننا - نحن الأزواج - خاب أملنا فى الدكتور نور ولم نعد نثق فى قدرته على مواجهة محسن .

فى اليوم الذى كان محسن وداليا يعيدان فيه تمثيل أول لقاء بينهما فى شارع الزهور ، قبضت الشرطة على محسن وهو يطار داليا فى الشارع . وابتسم الدكتور نور وهو يقرأ أن البلاغ كان من مجهول .

.. عندما أحيل محسن إلى النيابة استمع المحقق إليه وهو يروى كيف أنه كان يعيد تمثيل مشهد أول لقاء بينه وبينه زوجته . واستنتج المحقق من هذه الرواية أن المتهم يعانى اضطراباً عقلياً ، فأصدر قراراً بإحالة محسن إلى المصحة لملاحظة قواه العقلية تحت إشراف مدير المصحة .. الدكتور نور !



بين المرأة والرجل سوء تفاهم لا ينتهى !
بل إن الحب نفسه قد يبدأ أحياناً بسوء تفاهم : كلمة منه . كلمة منها .. فعراك فاعتذار فابتسام فموعد فلقاء فزواج !

والحب أيضا يعتريه سوء التفاهم والخلاف ، وهذا الخلاف هو الذي يصنع التوابل العاطفية فيكسب الحب نكهته بالصد والهجر والعتاب والشكوى والتعهدات والأنين !

والخلاف التاريخي بين المرأة والرجل يتخذ شكل الحرب العنصرية حيث يرى الرجل أنه من الجنس الأرى أو السوبرمان ، فهو الأقوى والأعظم والأفضل والأنبل والأكثر ذكاء ، بينما ترى المرأة أنه من الجنس البربري المتوحش المولع بالغدر .

وفي أحيان أخرى يتخذ الأمر شكل الاشتباك الحربي الذي تذاع بعده البلاغات العدائية الكاذبة فتسمع رجلا يقول بكل ثقة : إنني اتسامح معها لأن التسامح فضيلة الأقوياء ، وتذكرك على الفور أن البلاغ كاذب لأن الرجل يقول هذه الكلمات وهو نزيل عنبر الكسور إثر نقله من البيت .

وفي معظم الأحيان تكون الحرب إعلامية ، حيث يحاول كل طرف أن يشرح معاناته وصعوبة الحياة مع الطرف الآخر وتضحياته من أجل مواصلة هذه الحياة . فهذا زوج يهمس في أذن صديقه : إنه استدعى الطبيب لزوجته أمس بعد أن أصابها سعال وضيق تنفس وهرش مستمر في يديها ، وتبين أنها حالة حساسية لأنها حاولت أن تفكر قبل أن تتكلم ، ونصحها الطبيب بعدم التفكير نهائيا قبل الكلام !

وفي الجانب الآخر - في نفس المجتمع - تهمس هذه الزوجة في أذن صديقة لها قائلة : إن زوجي قد يبدو لأول وهلة ثقيل الظل ، لكنك لو جلست معه وحاولت محادثته فسوف تموتين من الضحك لشدة بلاهته !

وتركز الحرب الإعلامية من جانب المرأة على جبروت الرجل وطفانيته .

هذا رجل - مثلاً - توفيت زوجته ، وبعد فترة من رحيلها شعر
بفداحة خسارته ، فسعى إلى تحضير روحها ، وما إن حضرت روح
الزوجة حتى قال لها :

— كم أنا شقي بعد رحيلك !

— مسكين !

— طمئننى .. هل أنت سعيدة فى العالم الآخر ؟

— جدا .

— أكثر سعادة مما كنت معى .

— طبعاً .. لا وجه للمقارنة .

— إذن صفى لى الجنة .

— ومن قال لك إننى فى الجنة ؟؟

* * *

ومن قديم الزمان وكلمات الرجل تحاول النيل من المرأة ، ابتداء
من الشاعر الرومانى فرجيل الذى قال : إن المرأة أصل كل بلاء ،
إلى الكسندر دوماس الذى صاغ كلمات فرجيل بالمثل الذى ذاعت
شهرة : فتش عن المرأة ، إلى المثل العربى الذى يقول : إن
النساء حباثل الشيطان !

لكن المرأة تفوز دائماً إذا كان الطرف الآخر فى الحرب هو
آدم ! .. فقد يكسب آدم معركة ضدها ولكنه دائماً يخسر الحرب ،
سواء كان هذا الأدم جاهلاً أو حكيماً ، صعلوكاً أو عظيمًا ، ضعيفاً
أو شمشوناً .

فإن حكمة سليمان الحكيم لم تصمد طويلاً أمام بلقيس ، ومارك
انتونى استسلم لقدره أمام كليوباترا ، ودليلة حولت أقوى رجل فى
تاريخ البشرية من شمشون الجبار إلى شمشون الكانيش .

بل إن المرأة الشرقية - قبل أن تنال أى قسط من التعليم
استطاعت وهى ترسف فى أغلال العصور الوسطى أن تترك كلمات
باقية على الزمان ، بأن نفذت الى الأمثال الشعبية ، واتخذت منها
أقوى سلاح تخوض به الحرب الإعلامية ضد الرجل .

ويتبدى ذكاء المرأة الشرقية الفطرى فى اللجوء إلى الأمثال
الشعبية حيث نرى المثل مزوداً بالموسيقى اللفظية التى تكفل له
الانتشار والذيق ، ونظرة واحدة إلى هذه المنشورات النسائية
الخطيرة - الأمثال - تؤكد أن مؤلفها لا يمكن - بكل المقاييس - أن
يكون رجلاً !

هل من المعقول مثلاً أن يكون مؤلف هذه الأمثال رجلاً :
لولا جارتى لا نفقت مرارتى - يغور الشهد من وش القرد . اللى
يقول لمراته يا عورة تلعب بيها الناس الكوره - اللى يقول لمراته
يا هانم يقابلوها الناس ع السلالم - بره وجوه فرشت لك وانت مايل
وليه يعدلك - الأم تعشش والأب يطفش - متجوزة عدس عازبه
عدس - يا جارية اطبخى يا سيدى كلف - القرعة تنباهى بشعر بنت
أختها - اللى ما تعرفش ترقص تقول الأرض عوجة - العقربة أخت
الحية - تحت البراقع سم نافع ..

مثات الأمثال تحمل بصمة المرأة وتدور حول اهتماماتها
وهمومها ، ولعل ما ألبأ جدتى إلى ابتكار الأمثال هو ما كانت تعانيه
من ظلم وهوان ، فقد كان بيت الزوجية ملكاً خالصاً - بمن فيه -
للرجل ، الرأى رأيه ، والقرار قراره - وعليها أن تطيع وتمثل دون أن
يكون لها حق الاعتراض أو كما يقول المثل الذى أطلقته جدتى :

« مين يقدر يقول للغول عينك حمرا يا غول » .

ففى هذا المثل نرى جدتى تذيب منشوراً يحمل رأياً الصريح فى
جدى وهو : أنه غول وعينه حمراء . وحش كاسر .

ومن الملاحظ أن هذه المنشورات أو الأمثال اهتمت اهتماما خاصا بقضية امتحان الرجل للمرأة وسحق كبرياء أنوثتها بالزواج عليها من أخرى ، إذ تبرز في أمثال جدتي صورة « الضرة » أو الزوجة الثانية بشكل لافت للنظر ، فقد كانت الضرة هي الشبح المرعب في حياة كل زوجة ، فحرصت الأمثال التي أطلقتها جدتي على توعية المرأة للوقاية من خطر الزوجة الثانية ، كالمثل القائل :

« قصقصى طيرك لا يلف بغيرك » .

هذا المثل يعبر بوضوح عن استراتيجية نسائية ثابتة من قديم الزمان ، وهي أن فائض المال عند الرجل يدفعه إلى الزواج من زوجة ثانية ، فلا بد من قصقصى ريشه ، أى تنظيف جيوبه أولا بأول .

وإذا فرضنا أن الرجل مستعمرة نسائية ترفع المرأة علمها فلا جدوى من سيطرة المرأة على المرافق الهامة في هذه المستعمرة : العقل والقلب والأعصاب ، ما لم تكن مسيطرة تماما على المحفظة !

كذلك من الأمثال التي أطلقتها جدتي للتوعية من خطر الزوجة الثانية مثل شعبى آخر ، شبهت فيه الرجل بمخلوق شديد النباهة والذكاء ، فقالت في هذا المثل :

« لما يشيع الحمار يعمزق عليه »

هذا تشبيه بليغ حقا ، فالحمار عندما يشعر بالشبع يظل يطوح رأسه إلى أسفل وإلى أعلى بكيس العلف المعلق في رقبة فتناثر محتوياته هباء وسدى .

لماذا يفعل الحمار ذلك ؟ لأنه حمار طبعاً .

وفي حث المرأة على اتباع سياسة « قصقصى طيرك » أوضحت جدتي - فى مثل آخر أن أى شيء - مهما صغر - تأخذه الزوجة من زوجها هو مكسب ، فقالت :

« شعرة من جلد الخنزير مكسب » .

طبعاً معروف من هو الخنزير .

وقد استهدفت الأمثال الشعبية إحاطة كل امرأة علماً بأن الزوجة التى تصبح لها « ضرة » سوف تجد نفسها طويلة اللسان قليلة الأدب لزوم الحرب الكلامية اليومية ضد « الضرة » ، يقول المثل « ثوب الضرة مر ومن ليسه انقل حياه » .

ومع ذلك فقد ورد فى أمثال جدتي أن « الضرة » إذا أخذت زوجاً من امرأة أخرى ، فإن هذا يمكن أن يحقق معجزة طبية هى شفاء الزوجة إذا كانت مصابة بعاة الخرس :

« خدوا جوز الخرسا .. اتكلمت » .

واضح طبعاً من هذا المثل قوة الصدمة التى تحمل الشفاء لكل خرساء .

إن جدتي - فى قضية الزوجة الثانية - لم تنس أن تضع لكل موقف مثلاً شعبياً من بداية المأساة الى نهايتها !

هذه مثلاً السيدة « أم الخير » زوجة . وأم عيال ، فاتها أن تنفذ نصائح التوعية التى أطلقتها جدتي ، فلم تقصقص ريش زوجها ، وكانت النتيجة أن الزوج أحب بنتاً صغيرة هى « عيشة » ونوى أن يتزوجها ، والجيران يضربون كفا بكف وهم يتساءلون بالمثل الشائع

المعروف :

« إيش جمع عيشه على أم الخير ؟ »

.. أم الخير مذهولة لاتصدق الخبر ، إنها تضع يدها على خدها ودموعها تجري ، تفكر في فعلة الرجل الخسيس الذي اتخذت منه زوجا تزهو به على الناس ، وحصنا أميناً تعود به وتلوذ في رحلة الأيام ، فإذا به يجعلها موضع الشماتة ، ويعبر المثل الشعبي عن موقفها هذا فيقول :

« خدتك لواذ ، خدتك عواذ ، خدتك أكيد العوازل كدت أنا روحي » .

.. إننا نرى الآن جارتها العاقلة المجربة تقبل عليها وتحاول أن تواسيها وتبث فيها الصبر الجميل فتقول لها هذا المثل الشعبي :

« العقل زينة لكل رزينة » .

وتردده بقول مثل آخر :

« حرة صبرت في بيتها عمرت » .

هكذا تنصحها أن تترك بيتها ، وأن تفوت على الزوج رغبته في أن تترك له البيت ليخلو له الجومع « عيشة » . إنها تحذرها من التفريط في بيتها الذي عليها أن تثبت ولا تخرج منه إلا إذا طردت طرداً :

« خليكى في عشك لما ييجى حد ينشك » .

وتفتتح أم الخير وتبقى في بيتها ، وشيئا فشيئا تبدأ تألف الموقف وتتعايش معه . أفاق من الصدمة وبدأت في شن الهجوم المضاد على الزوجة الجديدة التي لم تظهر بعد ، فتبدأ - عن طريق الأمثال - في إذاعة نشرة عداوية بأوصاف عيشة عروس زوجها .

« عمشة وعرجة كيعانها خارجة » - « قرعة بمشطين وعورة بمكحلتين » « الكوع مذبذب والوش مهبب » - « الوش وش ديك والحال ما يرضيك » .

وتأتى العروس الجديدة إلى البيت ، وجمع الزوج « عيشة » على « أم الخير » ، وأبتدا النكد الأزلي ، والسبب كما يقول المثل :

الغيرة مرة والصبر على الله .

قضى الأمر ، ودخلت كل من عيشة وأم الخير مرحلة المواجهة . نحن نرى عيشة أكثر هدوءاً وتماسكاً فهي الأكثر ثقة لأنها الأصغر والأجمل ، ولذلك فهي تنظر إلى أم الخير باستعلاء وهي ترفع حاجبا وتخفص آخر بينما أم الخير تقول لها :

« تاخذى جوزى وتغيرى ما تخيلى »

أى منتهى الصفاقة أن تأخذى زوجى منى ثم تغارين عليه منى . هنا تقول العروس الجديدة باستخفاف : أغار منك أنت ؟؟

تقول أم الخير : طبعاً تغارين منى لأنك تعرفين المستقبل ، فما زواجه منك إلا نزوة عابرة سوف يعود بعدها إلى تائباً نادماً : « خلى حبيى على هواه لما ييجى ديله على قفاه » .

هنا تنطلق ضحكة ساخرة من عيشة تهزأ بأم الخير التي تريد أن يحبها الزوج بالعافية .

« حبنى وخدلك زعبوط ، قال هى المحبة بالنبوت » .

والزعبوط رداء ريفى صوفى والنبوت هو العصا ، ومعنى المثل أن الحب لا يمكن أن يكون بالرشوة أو بالاكراه . ويعقب قول هذا

المثل - من جانب عيشة - ألفاظ غير كريمة موجهة إلى أم الخير خاصة بشهادة ميلادها وما يشاع من أنها كانت مرضعة خوفو .

وإذا ما طرحنا ردود أم الخير القاسية جانباً ، وجدناها تفحم عيشة بقولها :

« القديمة تحلى ولو كانت وحلة »

أى أن الزوجة القديمة مهما بلغ بها السن ومهما هجرها زوجها ، فإنها تحلى في عينه بعد ذلك ولو كانت في قبحها كالوحدل ، وكما يقول أبو تمام : وما الحب إلا للحبيب الأول .

غير أن عيشة لا تحارب في جبهة واحدة ، فإن جارات أم الخير بحكم العشرة وبحكم كراهية الخطر المشترك - الزوجة الثانية - يمثلن جبهة أخرى معادية ، فما إن تظهر عيشة أمامهن حتى تتلقفها السنتهن غمزا ولمزا عبر الشرفات والنوافذ فهذه جارة تقول على مسمع من عيشة :

« ما يضائق الزرية إلا النعجة الغريبة » . وهذه جارة أخرى تشرح وجهة نظرها في جمال عيشة :

« قالوا للفرقة اتبرقي قالت ده وشى واخذ على الفضحية » ، فترد الثالثة « خنفسة اتجوزت صرصار دار بيها البلد محتار » ، ويعلق صوت الجارة الرابعة مستفزا ، والكلام لك يا جارة وانتي حمارة » .

فإذا ما فقدت عيشة أعضائها وحاولت الرد فسرعان ما تتلقى هذه الطلقة من الجارة الخامسة : « يا واحدة جوز المرة يامسخرة » . غير أن عيشة لا تعتبر نفسها مسخرة ، بل هي كما يؤكد واقع الحال أميرة مدللة ، وهي بهذه المؤهلات صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة وأم الخير - في رأيها - هي الجارية !

هذا الصراع على السيادة في البيت يبرز بوضوح في المثل القائل :

« لما انتى ست وأنا ست ، مين فينا اللي يكب الطشت » .

... وتستمر الحرب الإعلامية ضد الرجل في الأمثال الشعبية التي صنعتها المرأة ، تفتح نارا عليه ، وتفضح مثالبه ، وتشرح المشاكل التي يتسبب فيها بتزواته وطغيانه !

وهي حرب لن تهزم فيها المرأة ، أبدا فالمرأة لا تملك سلاح الكلمة فحسب ، بل إن دهاءها سلاح ، وهدوءها سلاح وضعفها الأثوى الجميل أمضى سلاح ..

أنظروا مثلا إلى هذا المشهد .. رجل حانت لحظة احتضاره يمسك بيد زوجته التي عاش معها السنين ويستحلفها أن تغفر إهاناته وتعذيه لها وضربه لها ، ثم أضاف وهو في النزاع الأخير :

— لقد كنت دائما متسامحة .. فسامحينى .

هنا نظرت إليه قائلة :

— متسامحة ؟! من تظن إذن الذى وضع لك السم فى المكرونة .

* * *



في الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم اكتشفت انني اكلم نفسي ، وبدوا أن كلامي مع نفسي بدأ بصوت هامس ثم أخذ يتدرج في الارتفاع حتى تنهت إلى ذلك .

إن كثيرا من الناس يكلمون أنفسهم ، ولا يعرف الواحد منهم أن كانت هذه الحالة قد جاءت فجأة أم هي نتيجة طبيعية للزواج ومسئوليته ، لكنني أعرف جيدا لماذا أكلم نفسي ، فالفضل في ذلك للبرنامج التليفزيوني « الوقاية خير من العلاج » . إن هذا البرنامج - الذي اكتشفته زوجتي - شجعني لكي أكلم نفسي ، إذ استضاف طبيبا قال : إن من الطبيعي أن يكلم الإنسان نفسه أثناء التفكير ، فما التفكير إلا حوار بين الإنسان وذاته ، ولا مانع من أن يفكر الإنسان أحيانا بصوت مرتفع .

لقد اكتشفت أن الحوار بصوت مرتفع بيني وبين نفسي يعطى للألفاظ وضوحا أكثر للمعنى وقوة أكبر في الإقناع ، ولقد اتاح لي خلو المنزل من زوجتي فرصة المناقشة الذاتية في حرية تامة ، ولم يقطع مسار هذا الحوار المثمر إلا جرس الباب . ظننت أن زوجتي عادت من عند الطبيب ، ولكن الطارق كان جاري فؤاد . . وقد بدا عليه انزعاج واضح وهو يسألني : من الذي تشبك معه في هذا العراك الصاخب ؟ . . فلما عرف أنني وحدي عاد يستفسر في دهشة : إذن من الذي كنت تقول له مرارا : أنت حمار ؟

وإذا كنت يوما قد أخفيت عن جاري فؤاد أنني أتكلم مع نفسي ، إلا أنني أصبحت أفعل ذلك فيما بعد بدون خجل ، فبفضل زوجتي أصبح جيراننا جميعا - ومعهم فؤاد وزوجته - من أشد المقتنعين بهذا البرنامج النافع العظيم « الوقاية خير من العلاج » . كلنا ننتظر مواعده ، وننصت إلى نصائحه ، ونستمد منه الوعي الصحي ، فنحن جميعا قد تجاوزنا منتصف العمر وأصبحت مشكلتنا الصحية هي مشكلة صيانة ، خاصة أن الدكتور عتريس - أحد نجوم البرنامج - ينهنا دائما بعبارة المأثورة إن كل الأمراض تكمن داخل جسمك وكل مرض منها يتظر أول فرصة له عند ضعف المقاومة أو المناعة أمامه .

لهذا أصبحنا نزور الأطباء كثيرا ، وفي أقل من شهر مثلا ذهبت

زوجتي إلى أخصائي جهاز هضمي ، وطبيب عيون ، وأخصائي غدد ، ثم أخصائي أنف وأذن وحنجرة ، صحيح أن نتائج الفحص والأشعة والتحاليل أثبتت أنه ليس هناك أي أثر لأي مرض ، وصحيح أنني بعث نصيبي في قطعة أرض ، ولكن هذا كله لا يهم ، فالحيلة واجبة .

ولعل أكثر ما شغل زوجتي بعد ذلك هو تلك البقعة الحمراء في ظهر يدها التي نبه إليها طبيب الأمراض الجلدية في البرنامج قائلا : عند ظهور هذه البقعة فعليك أن تقاوم الرغبة بحكها بأظافرك ، وسوف ترتفع درجة حرارتك ، فاعرض نفسك على الطبيب .

عقب انتهاء البرنامج ، لاحظت زوجتي وجود هذه البقعة الحمراء في يدها ، وبدأت تقاوم بصعوبة الرغبة في حكها بأظافرها ، وباتت الليل تعاني والترمومتر في فمها يسجل ارتفاع نصف درجة .

في اليوم التالي فشلت زوجتي في الحصول على موعد قبل شهر عند طبيب الأمراض الجلدية الكبير . وتوسلنا ببعض الأقارب من أصدقاء الطبيب الكبير ، فرضي أن نحجز موعدا مستعجلا بمائة جنيه بعد أربعة أيام ، وفي خلال تلك الأيام الأربعة لزمنا المسكنة الفراش تنألم ، وكلما توافد على غرفتها بالبيت وفد من الأهل أو الأصدقاء أرتهم البقعة الحمراء في ظهر يدها وانخرطت في اليكاء .

وكثر كلامي مع نفسي فهو يكثر في حالات الألم وحالات السرور . ثم زاد كلامي مع نفسي عن الحد المعقول عندما تأكد لي أن الطبيب استحق المائة جنيه عن جدارة ، فقد اكتشف أن النقطة الحمراء على ظهر يد زوجتي هي نقطة من مطهر المركروكروم ، سقطت على يدها أثناء استعمال الزجاجة ، وعندما عرفت زوجتي أنها مركروكروم زال عنها الألم تماما وتم الشفاء والحمد لله .

على الشاشة الصغيرة ، ظهر الدكتور عتريس يردد كلمته المأثورة : إن كل الأمراض تكمن داخل جسمك ، وكل مرض منها ينتظر أول فرصة له عند ضعف المقاومة أو المناعة أمامه ، ثم انبرى بعد ذلك أخصائي يقول : من المعدة تبدأ كل الأمراض ، لكنك تستطيع أن تتقي شرها جميعا باللبن الزبادي . الزبادي صديق المعدة ، الزبادي يطيل العمر ، فلتكن وجبتك زبادي ، وبين الوجبة والوجبة زبادي .

وكان ولاؤنا للزبادي عظيما ، ولم يعد لنا من طعام سواه ، وعندما حدثت أزمة زبادي في المدينة أدركنا أن جارتنا فؤاد هو السبب ، فقد كان حريصا على أن يطيل عمره ، كان يتناول بين وجبة الزبادي ووجبة الزبادي وجبة ثالثة من الزبادي ، وبلغت دقته في تنفيذ تعليمات طبيب البرنامج درجة عظيمة ، حتى أنهم نقلوه إلى المستشفى واجروا له غسيل معدة ، وجاءت سيارات المطافئ لشطف كميات الزبادي من الشوارع المحيطة بالمستشفى .

ولقد كان برنامجا حافلا ذلك الذي قدمه ذات ليلة الدكتور عتريس . . سرد أنواع السموم التي يمكن أن يصاب بها الإنسان خطأ ، وقدم معها الترياق المضاد لكل سم . وسجلت زوجتي هذه المعلومات النافعة على شريط فيديو ، واتخذت من هذا الشريط مرجعا تستذكر منه الأعراض المختلفة التي تظهر على الإنسان عند تناوله كل سم ، ثم طريقة العلاج ، حتى أنها أصبحت عليمة بكيفية علاج حالات التسمم بأملح النحاس والصدودا والبوتاسا الكاوية والمليزول والأترويين والكحول واليود والمخدرات وغيرها وغيرها .

ولقد انتهت مذاكرتها لهذا الشريط التليفزيوني بنظرة متأملة إلى كلبها الصغير « تانجو » ثم ما لبثت نظرتها إليه أن تحولت إلى فرع

يكسو ملامح وجهها وهي تنادى الكلب القابع أمامها : تانجو ..
تانجو .

سألته وقد رأيت الكلب لا يستجيب للنداء :
ماذا به ؟

قالت يا مصيبي ! واضح إن عنده أعراض تسمم بالكوكايين .
— كوكايين ؟

— لاشك .. أنه كوكايين .

— من أين جاء بالكوكايين . هل تعتقد أنه يشم الكوكايين من
خلف ظهرنا ؟

— أنظر .. هذه هي أعراض التسمم بالكوكايين .. اتساع
حدقة العين .. الشحوب .. بطء التنفس .. سرعة النبض ..
العرق البارد .

— ولكن الكلاب لا تعرق يا حبيبتى لأنه ليس لها غدد عرقية ..
إنها تلهث بدلا من ...

قاطعتنى :

— هذا العرق بسبب الكوكايين ..

تجمع الجيران في شقتنا يواسون زوجتى الباكية . وزادت حالتها
النفسية سوءا لأن تانجو قاوم كل محاولات الاسعافات الأولية التي
حاولت زوجتى أن تجربها له ، فرفض شرب فنجان شاي أسود
قوى ، ولم يستجب وهي تحاول أن تساعد على التنفس
الصناعى !

وأسرعت زوجتى بالكلب إلى الطبيب ، وبقيت في الشقة مع
الجيران ، وماليت أن قال أحدهم :

كان يجب أن تكون حريصا فلا تترك الكوكايين في متناول
الكلب .

— ولكنى لا أتعاطى الكوكايين .

— فعلت آخر : يا رجل لا داعى للانكار .

وقال ثالث ساخرا : لا بد أن تانجو نزل إلى السوق واشترى
لنفسه الكوكايين .

وقال الرابع : تصور اننى لم أشاهد الكوكايين فى حياتى :
أرنى ما شكله ولونه ؟ .. أريد ..

ولم يكمل الرجل عبارته ، فقد نهزته زوجته قائلة : هل وصل
بك الحال إلى أنك تريد تعاطى الكوكايين مثل هذا الشمام ؟

كان حضور منى - زوجة فؤاد - إلى الشقة فجأة بمثابة انقاذ لى
من ذلك الحرج القاتل والجيران يرمقونى بنظرات رخيصة كشمام
كوكايين . لقد جاءت منى لتولول قائلة : إن زوجها يدور فى الغرفة
بخطوات متمايلة كفرانكشتاين ، وينتهه بكلمات غير مفهومة .

صاح جار يسألها : هل فمه يلعب ؟

قالت منى : إنه لا يكف عن تلعب فمه .. كيف عرفت ؟
قال الجار : هذا ما كان يتحدث عنه برنامج « الوقاية خير من
العلاج » قال : إن هذه أعراض تيسس العضلات .

لم أعرف ما الذى جرى لفؤاد فى تلك الليلة ، فقد انفضوا
جميعا من حولى واتجهوا إلى شقة فؤاد ، ومن نافذة المنور جاءت
أصوات بعض الجيران الذين لا أعرفهم يتحدث عنى .. !! « كنا
نظن إنه مجنون وهو يكلم نفسه . لم نعرف أنه يتعاطى الكوكايين »
« طبعا هلوسة كوكايين » .

« فعلا .. قابلته فى الأسانسير مرة وكان فى حالة هذيان يحدث
نفسه ويشير بيديه فى الهواء .. لعنة الله على المخدرات » .

عادت زوجتى وكانت سعيدة ، فقد فحص الطبيب تانجو وأكد لها أن الكلب ليس مصابا بأى تسمم ولكنه يعانى بعض الاكتئاب ، ولا بد له من نزهة يومية .

اضطرت أن أقوم بهذه المهمة مع الكلب بعد أن لزمّت زوجتى الفراش . فلقد فتحت زوجتى التلفزيون فوجدت رجلا اسمه الدكتور راتب يصف هذه الأعراض : الرغبة فى العزلة ، والضعف العام ، وافرّازات من الأنف والقم .

ولزمّت زوجتى الفراش وقد انتابتها هذه الأعراض ، لكنها لا تعرف اسم المرض لأنها لم تشاهد البرنامج من بدايته .

بناء على رغبة زوجتى ، اتصلت بالتلفزيون لأعرف عنوان الدكتور راتب الذى تبين أنه ظهر فى برنامج آخر غير برنامج الدكتور عتريس .

كان الدكتور راتب كريما ومهذبا .

— سألتنى : متى ظهرت عليها أعراض المرض ؟

— منذ يومين .

— هل تراها ميالة إلى العزلة ؟

— جدا .

— وتعالى ضعفا عاما ؟

— أجل يا سيدى .

— وريشها ؟ هل هى منفوشة الريش ؟

— ولكن زوجتى ليس لها ريش يا سيدى .

— فهمت . . . ! يا سيدى أنا كنت أتحدث فى التلفزيون عن

مرض النيوكاسل الذى يصيب الدجاج ، فأنا طبيب بيطرى .

مصلحة
على بلجا !

أسعدنى كثيراً أن تكون زوجتى فاطمة استاذة فى علم النفس ، فهى تستطيع أن تحلل كل تصرف من تصرفاتى ، إذا وقفت مثلاً أمام المرأة فأنا مصاب بالترجسية ، وإذا دخلت إلى حفل متأخرا عن موعدى واتجهت نحوى كل الأنظار ، فأنا عندى ميول استعراضية ، وإذا ألقىت كلمة واجبة فى حفل تكريم فأنا مصاب بحب الظهور ، وإذا لبست ربطة عنق حمراء . . . فأنا متخلف ذوقيا أميل إلى الألوان البدائية ، وإذا حدثتها عن عدم ارتياحى إلى شخص ما فأنا أعانى من البارانونيا أو جنون الارتياح والاضطهاد ، وإذا غضبت منها لأمر ما فأنا ملئء بالعقد النفسية ، وإذا صالحتها شارحا مدى حاجتى إلى حنانها ولمسة يدها فأنا عندى ارتداد طفولى فى الشخصية .

وقد تركت للدكتورة فاطمة مهمة تربية الأولاد ، فليس أفضل منها في معرفة خبايا النفس وتقويمها ، ورأيت أن أتفرغ تماما لعملى ، وقد حرمنى الانهماك فى العمل من أن أجالس أولادى ، ولا حتى أراهم ، إذ كنت أتعهد أن أغادر البيت صباحا قبل أن يستيقظوا وأعود وهم نيام ، وذلك حتى أتجنب أن يستمع الأولاد إلى ملحوظات أمهم بشأنى ويعرفوا أن أباهم مصاب بكل أمراض النفس والعقل ، ابتداء من الملانكوليا إلى جنون الهلاوس ، ثم فجأة وبلا تعهد ، رجتنى فاطمة أن يتم التعارف بينى وبين الأولاد ، وأن أخصص لهم بعد ذلك جانبا من وقتى حتى تسقيم تربيتهم .

— هل فشل علم النفس ؟

— كلا . بل لابد من السلطة الأبوية ذات الهية ليحدث التوازن .

لم أفهم شيئا مما شرحته الدكتورة فاطمة إلا أنها أصبحت تخيف بى الأولاد ، وأن هذا التخويف أحرز نتائج لا بأس بها ، وقد شعرت بغبطة شديدة أن يكون فى هذا البيت من يخاف منى .

اشتطت على فاطمة ألا توجه لى أية ملحوظة أمام الأولاد تقلل من شأنى ، ويبدو أنها كانت فى حاجة حقيقية إلى مساعدتى فأقسمت لى أنها لن تنبس بكلمة تغضبى ، فإن أحوال الأولاد - فى رأيها - تقتضى أن أكون صارما مرهوب الجانب ، فهى تخشى من الأخطار المحدقة بالأولاد :

الولد الأكبر - تامر - استولت عليه هواية الرسم ، وطارق الذى يصغره يهوى كرة القدم ، وقد بكت أمه عندما سمعته يقول : إن خفرع هو جناح أيمن النقل البحرى ، أما سامح فيظهر عداء سافرا لعلم الجغرافيا ، وتقارير المدرسة عن الأولاد لا تسر ، وحتى الصغيرة مها تشكو منها دائما المشرفات فى روضة الأطفال .

جلست في غرفة المعيشة أنتظر الأولاد الذين أمرتهم أمهم بأن يرتدوا أحسن ما عندهم للقاء بابا حتى توحى إليهم بعزيم من الرهبة والاحترام لي ، فملا بس البيت العادية - في نظر الدكتور - ترفع التكليف بيني وبينهم ، وبعد قليل دخل الأولاد . حيوني باحترام بالغ فتعمدت أن أحییهم متجهما حسب أوامر فاطمة ، وأسعدني أن الأولاد ليسوا مثلي ، إذ كان يبدو عليهم الذكاء .

ما إن اتخذ الأولاد مجلسهم حتى قالت فاطمة : بابا سيقضى الأمسية معنا ، فتبادل الأولاد نظرات هي مزيج من الحذر والتوجس ، بينما واجهني سامح بابتسامة عريضة لم تغب عن وجهه منذ دخوله ، ونقلت الصغيرة مها بصرها بيني وبين صورة لي في ركن الغرفة أظهر فيها بشارب كثيف ، فهمت لأمها بصوت سمعناه جميعا تسأل أين اختفى شاربي .

نظرت بملامح غاضبة نحو البنت ، وغيبت فاطمة موضوع الحديث بسرعة فائلة : مها كانت تريد أن تذهب اليوم إلى صديقتها دينا لمشاهدة القرد الذي اشتروه ، فقلت لها لا داعي اليوم لمشاهدة القرد مادامت الليلة متشاهدين بابا .

أجلت النظر بين الأولاد بقسمات غاضبة وأنا أقول : ما هذا الذي أسمع عن إهمالكم في الدراسة ؟ ... اعتدل الأولاد يتأهبون للنقاش بينما ظل سامح على ابتسامته العريضة فوق شفثيه . ما حكاية هذا الولد ؟ انني أخشى أن يكون متخلفا عقليا مع أن أمه تقول : انه صورة طبق الأصل مني .

وجهت حديثي الغاضب أسأل طارق ان كان خفرع جناح أيمن النقل البحري ؟ وفي هدوء وثقة أجاب بالإيجاب ، فاشتد صياحي ليفهم أن خفرع أحد بناء الأهرام ، ورد طارق بنفس الهدوء بأنه يعرف أن خفرع أحد الفراعنة العظام ، ولكن هناك أيضا حسين

خفرع لاعب الكرة ، وتساءل الولد : ما ذنبى أنا يا أبى إذا كان اللاعب قد اختار لنفسه هذا الاسم ؟

أخفيت هزيمتى بصيحة أخرى تستكر هذه الهواية للكرة على حساب الدرس والتحصيل ، ثم قلت : لماذا لا تدركون قيمة العمل ؟ ألم ير أحدكم النملة وكيف تظل تشقى وتعمل في مهارة وصبر ودأب إلى أن نرثها بالفليت فتموت .

قالت فاطمة : رأيت السفسطة ؟؟

قلت في حزم : دعيني أفهم ما يقول هذا الولد . قال سامح : أقول ان النملة يجب أن نقتلها يا أبى . فهي حشرة ضارة .

قلت : يا ابني أنا أتكلم عن المهارة والصبر والدأب في العمل . قال طارق : ان اللص أيضا يتسلق العواصير في مهارة وصبر ودأب .

صحت فيه : اخرس يا ولد .

افلاس . اننا أفلسنا أمام الجيل الجديد . لقد مر بخاطري ما قاله ذات مرة الدكتور عيسى زميل زوجتى في الكلية : ان كل جيل جديد يتحدث بلغة عصره . ان أولادنا لهم رؤيتهم الخاصة وأفكارهم بينما نحن لا نغير من أساليبنا التربوية البالية وأفكارنا القديمة التي تعجز عن مواجهة الأفكار الجديدة الوامضة .

أسرعت فاطمة تقول : ان بابا يتكلم عن المجهود الذى ينبغي بذله حتى يمكن الحصول على أفضل النتائج . فقد كان أبوكم هو الأول دائما على أقرانه في الدراسة . والحق أن هذه التحية من فاطمة راقتنى كثيرا ، فأسرعت أقول للأولاد : ذات مرة كان ترتيبى الثانى فأسودت الدنيا فى وجهى وعزفت عن الطعام وكادت أموت هما وحسرة .

قال طارق : الثاني ؟؟ ولكنه ترتيب مشرف يا أبى .
قلت رافعا يدي كى أسكتته : كنت أرفض أن أكون غير الأول .
قال تامر فى أدب : طبعاً نحن نعرف أن كل الآباء كانوا دائماً من
الأوائل ، كل آباء أصدقائنا وزملائنا كانوا من الأوائل وهذا طبيعى
يا أبى ، فالتدريس فى الماضى كان أفضل ، كما أن مستوى الذكاء
فى جيلكم كان ممتازاً .

قال طارق ما عدا والد شريف .

قالت فاطمة : من هو شريف ؟

— ولد قليل الأدب .

— لماذا ؟

— ذهب إلى المدرسة التى درس فيها والده واستخرج من
سجلاتها شهادة تثبت أن والده كان متخلفاً فى دراسته ، وقد كان
ينسب نفسه إلى باقى الآباء ويقول : انه كان الأول دائماً .
داهمنى خوف غامض . ماذا لو ذهب أحد أولادى إلى المدرسة
التوفيقية التى كنت أدرس بها وكشف عن سجلاتى ؟

قال تامر : ان كل الآباء كانوا من الأوائل فى الدراسة أما والد
شريد فهو حالة استثنائية .

قالت فاطمة : لا بد أنه كان غيباً .

قال تامر : بالتأكيد .

تلقيت إشارة خفية من فاطمة لكى تحدثنى خارج الغرفة .
خرجت . انتحيت بين بعيداً وهى تهمس : انت تعاني من سلبية
الشخصية وتسلط من هم دونك على تفكيرك وسلوكك .
— أعرف ذلك ، فقد قلت هذا من قبل ، وقلت أيضاً اننى سهل
الانقياد أميل إلى التبعية لمن هم أقل منى شأنًا .

— بالضبط .

— ولهذا كنت تابعاً لك دائماً .

— لسنا الآن فى مجال شجار . أرجوك كن قوياً مع الأولاد . ألم
تقرأ فى تقرير المدرسة عن وقاحة تامر تجاه فطاحل الشعراء العرب
وخلافه مع المدرس بشأنهم ؟ ألم تقرأ ما قاله سامح لمدرس
الجغرافيا ؟

عدت إلى الغرفة أشن حملة صباح جديدة .
قال تامر : بالعكس . المتنبى والبحرى وأبو تمام عمالقة
عظام ، لكنهم منافقون . ما من شاعر كبير إلا وقال قصائد المديح
طلباً للمال ، فإذا لم يجزله العطاء انقلب شتاما يهجو . هل هذه
اخلاق يا أبى ؟ انهم يعلموننا أن النفاق يجلب المال والعطايا .

قال سامح : لقد سألتى المدرس ما هو شكل الأرض فقلت له :
أن الأرض كروية ، فقال لى من أين جئت بهذا الكلام ، قلت له :
من الكتاب ومن حضرتك ، فسألتى أفرض اننى قلت لك أن الأرض
مربعة ، وقرأت أنت فى الكتاب أن الأرض مربعة ، فكيف تثبت أن
الأرض كروية ؟ قلت له : كيف أثبت انها كروية وهى مربعة ؟ فقال
لى : أنت جحش . قلت له : الجحش هو الذى يحاول أن يثبت أن
الأرض كروية إذا قالت الكتب أنها مربعة . وهنا غضب المدرس .

سرحت بخواطرى . ان ردود الأولاد التى تشكو منها المدرسة
لا يمكن أن تشكل اتهاماً للأولاد بالتقصير بقدر ما تشكل جموداً
وعجزاً على الجانب الآخر ، ويبدو أن ابتسامة افلتت منى - مع هذه
الخواطر - شجعت تامر على أن يقول : الحق يا أبى نحن نعتز
بك ، ولهذا نريد شهادة من شهادتك الدراسية نعلقها فى غرفتنا
لتكون شرفاً عظيماً لنا وحافزاً لكى نقتدى بك كأول زملائك فى
التفوق الدراسى .

بحثت بسرعة عن رد ينقذني من هذا المازق ، وقبل أن أجد الرد ، جاءت الصغيرة مها بمفاجأة اجتذبت الاهتمام كله ، إذ سألتني :

هل ستأتي معي غدا إلى المدرسة ؟

أفصحت لها عن خبر يذاع لأول مرة وهي أن المشرقة طردتها من روضة الأطفال وحتمت عليها ألا تعود بغير صحبة ولي أمرها . — لماذا ؟

لقد كانت « الأبله » تحكي للأطفال حكاية علي بابا والأربعين حرامي ، وعندما أتمت الحكاية سألتها « الأبله » :

— هل استولى علي بابا علي كنوز اللصوص ؟

— أجل .

— ألم يسرق اللصوص هذه الكنوز من الناس .

— هذا صحيح .

— إذن فعلى بابا لص لأنه استولى عليها لنفسه ولم يسلمها إلى الشرطة .

— كلا . . علي بابا رجل طيب .

— بل هو حرامي .

وانتهى الحوار بطرد البنت من الروضة !

لقد كان وقع المفاجأة عنيقا علي فاطمة . إذ نظرت إليها من وجهة اختصاصها كاستاذة في علم النفس ، قرأت أن الطفلة تعاني أزمة نفسية لأن الأبله تبرئ علي بابا من السرقة ، وأصرت فاطمة علي أن لها لا بد أن تعرف أن علي بابا سوف يلقي جزاءه ، وأنه لن يترك طليقا يتمتع بأموال الناس المسروقة هو وزوجته الست مرجانة .

قالت فاطمة : فكرت في اجراء صغير لا بد منه .

قلت : ما هو ؟

قالت : نصحبها إلى قسم الشرطة ونفق مع الضابط علي تحرير محضر سرقة ضد علي بابا ، ثم يتكلم الضابط في التليفون يأمر بالقبض علي « علي بابا » .

وقفت فاطمة مع لها خارج قسم الشرطة حتى لا ترى الصغيرة أو تسمع ما سوف اتفق عليه مع الضابط ، ودلفت إلى المبنى وقادوني إلى غرفة الضابط فقلت له : أريد تحرير محضر سرقة لعل علي بابا .

— علي بابا من ؟

— علي بابا الذي استولى علي كنوز الناس من الأربعين حرامي .

وضحكت تمهيدا لأن أشرح له الموضوع ، لكن الضابط الذي كان يبدو عليه الإرهاق ضرب المكتب بيده داعيا الله أن يرحمه من أمثالي ، وفي أقل من لمح البصر فوجئت بالشرطي العملاق الواقف بالباب يكلم فمي ويشل حركتي والضابط يأمره بوضعي في الحجز تمهيدا لترحيلي إلى مستشفى الأمراض العقلية .

المنفضة !

كانت السهرة في النادي بريئة حقاً ، ومع ذلك فقد انهمكت خلال عودتي إلى البيت في إيجاد قصة مناسبة لزوجتي أبرر بها رجوعي في الواحدة صباحاً . فالتقاء بأعز رفاق الدراسة في الجامعة حدث بالصدفة وبلا ترتيب سابق ، وقد كان ينبغي أن أتصل بزوجتي تليفونيا ، ولكن الذكريات المرححة جرفتني حتى جاوز الوقت منتصف الليل .

ماذا أقول لزوجتي ؟ . . صديق أصيب بأزمة صحية واضطرت لحمله إلى المستشفى ؟ مثل هذه القصة قديمة جدا ، فلقد كثر الأصدقاء الذين يصابون بأزمات صحية ليلا ، وكثر الأصدقاء الأوفياء الذين يصحبونهم إلى المستشفى حتى الصباح . ثم إن زوجتي لا تحب الكذب ، وهي لا تكذب - كما تؤكد لى - إلا إذا اضطرت أن تمتدحني أمام الناس .

هل أقول لها إن السيارة تعطلت بي ؟ أكذوبة جاهزة دائما على لسان كل زوج يتأخر عن موعد العودة . فلأبحث عن أكذوبة متقنة فيها تفكير ومعاناة . إن كل الناس يكذبون والذين يبدوون صادقين هم الذين يحسنون الكذب .

فجأة . . ابتسمت في دهشة !

كيف فاتني هذا ؟ كيف غاب عن خاطري أن زوجتي قد سافرت مع الأولاد عصر اليوم إلى المصيف ؟ غمرني إحساس بالارتياح لإعفائي من الكذب . فالكذب عبء ثقل كالحقيقة .

ودخلت البيت وأضأت الأنوار ، ورحت أتجول من الصالة إلى الصالون إلى المطبخ إلى غرفة المعيشة ، وما أن لمحت منفضة السجائر البروتزية ذات الفارس على ظهر جواده ، حتى اتجهت نحوها . هذه المنفضة رأيتها زوجتي في واجهة متجر . استطلمت رأيي فيها ، تعجبنى جدا يا زوجتي العزيزة . دخلنا المحل وابتاعتها . كانت سعيدة بها حقا .

في البداية رجعتي زوجتي ألا أطفئ فيها سجائري .
لماذا ؟

— هناك « منافض » كثيرة تستطيع أن تستخدمها فما الضرورة لاستعمال هذه المنفضة ؟

لم ألق بالآ إلى رجاء زوجتي . وما لبثت رجاءها أن تحول إلى

فعل امر ، ثم تصاعد فعل الأمر إلى إنذار . وفي المرة الأخيرة - منذ عام مضى - حدثت أزمة حادة قاطعتني معها زوجتي لأنني أطفأت سيجارة في هذه المنفضة .

والحق أنني لم أفهم زوجتي ، فهناك فترتان هامتان يعجز الرجل فيهما عن فهم المرأة : فترة ما قبل الزواج ، وفترة ما بعد الزواج .

ولقد سعيت من جانبي لإزالة هذه الجفوة ، واكتشفت أن زوجتي كانت شديدة التأثر من تصرفي . ناقشتها . وكما يحدث دائما في كل مناقشة ، كانت الكلمة الحاسمة الأخيرة لي وهي كلمة « كما تشائين » .

وتعهدت لها بالألا أطفئ سيجارة في هذه المنفضة البرونزية ، وشغلني بعد ذلك اهتمام زوجتي البالغ بأن تكون العلاقة مقطوعة تماما بيني وبين هذه المنفضة . كنت إذا سرت إلى الشرفة - في اتجاه المنفضة - سارت زوجتي خلفي بضع خطوات ثم توقفت لترى إن كنت سألقى برماد السيجارة في المنفضة أم لا . وكانت إذا خرجت مع الأولاد وتركنتي بمفردي ، رجنتني أن أعتنى بالكلب ، وألا أتركه يتجه نحو المنفضة . ماذا يحق السماء يمكن أن يفعل كلب بمنفضة برونزية ؟؟ كنت بالطبع أدرك معنى هذا التحذير الموجه للكلب .

أصبحت هذه المنفضة شيئا بغضيا في حياتي وعندما همست بمتاعبي إلى صديقي يوسف لأمي كثيرا . . اعتبر أنني استسلمت مبكرا جدا في معركة المنفضة . إنها ليست معركة منفضة في رأيه ، إنها قضية سيادة الرجل على البيت ، وما كان ينبغي أن أفرط في حقوقي بهذه السهولة .

ونصحني يوسف بأن أفجر المعركة من جديد وأن اتشبث بحق استعمال المنفضة ، وأشار إلى كتاب لمؤلف فرنسي أوصاني بقراءته اسمه « الرجل سيد المرأة » . سادج والله يوسف هذا .

إن كتابا اسمه الرجل سيد المرأة لا يمكن أن يوجد إلا في المكتبات التي تباع كتب القصص الخيالية .

غير أن كلمات يوسف حفزتنني إلى وجوب إعادة بحث موضوع المنفضة مع زوجتي . . لابد من أسباب جدية تبرر حرمانني من استعمالها .

والأرجح أنني سوف أفلح في إقناع زوجتي ، ومهما قيل إنها تجيد الاستماع لي لكي تقف على التناقضات الصارخة التي تتضمنها أكاذيبي ، فهي في النهاية مستمعة جيدة لي . ولقد اختلست السمع مرة وهي تتحدث إلي صديقة لها فقالت وهي تزهو بديمقراطيتها : كثيرا ما اختلف مع زوجي في الرأي ، ولكن عندما أكون على الحق فهو يوافقني فوراً . فلما سألتها صديقتها : وإذا كان هو على حق ؟ قالت زوجتي : عمره ما كان على حق ولا مرة .

لعلني هذه المرة أقنعها بأنني على حق .
عندما تهيأت لإعادة مناقشة قضية السيادة أو المنفضة وأعددت التمهيد الدبلوماسي الذي سوف افتتح به المناقشة . دخلت زوجتي الغرفة تقول في لهجة هادئة ولكنها تخفى الكثير من التوتر :
— هل استعملت المنفضة ؟

لأنني بريء ، فقد قلت في تلقائية : أبدا والله العظيم .
ولأن زوجتي ظلت تنظر إلي لبرهة غير مصدقة ، فقد عدت أقسم لها أنني لم استعمل المنفضة ، وبدا أنها صدقتني ، إذ استدرأت خارجة تغفمهم : غريبة ! خيل إلي أن بعض الرماد عالق بها .

خيل إليها ؟؟ !

بعد هذا الموقف من جانبي ، قررت شطب قضية المنفضة
أعلى أحسن الأحوال تأجيلها إلى أجل غير مسمى .

في تلك الليلة الأولى لسفر زوجتي والأولاد إلى المصيف ،
أصابني فضول شديد وأنا أحرق عن قرب في المنفضة المحرمة .
إن المناقض الأخرى التي نصحتني زوجتي باستعمالها ثمينة حقا إذا
قورنت بهذه المنفضة ، فلماذا تحرمني منها ؟

شعرت بإغراء قوي أن أشعل سيجارة وأن ألقى برمادها فيها ،
غير أنني قاومت ، وأنسحبت بصعوبة إلى غرفة النوم ، وفي
الفراش ، شعرت برغبة جارفة في العودة إلى المنفضة ، ولكن
النعاس غلبني .

في الصباح جاءت أم سليمان لتنظيف البيت . وكنت جالسا أمام
المنفضة المحرمة وفي يدي سيجارة عندما جاءت السيدة العجوز
بقهوة الصباح . فوجئت بها تتجاهل المنفضة البرونزية أمامي مباشرة
وتضع بجوارها منفضة سجائر بللورية وهي تقول : لكي تطفىء فيها
السجائر .

ما هذا الذي حدث ؟ هل خولت زوجتي سلطاتها المنزلية إلى أم
سليمان ؟؟ لم أشأ أن أتحقق من ذلك ، فليس من اللائق أن أنزل
بقضيتي إلى هذا المستوى .

إن هذه المنفضة اللعينة لم تعد تغيب عن بالي . حقا إن كل
الأمور نسبية : عندما يكون الإنسان في جلسة مرتخية هادئة
البال ، تنزع أفكاره إلى آمانيات بعيدة يتطلع إلى تحقيقها ، وعندما
يعتري نفس هذا الإنسان ألم في خرس تألف تصيح أعز أمانيه أن
يتوقف هذا الألم .

لقد باتت أمنية عزيزة وغالية أن استعمل هذه المنفضة كيفما
شئت . وعندما بدأت أخفي عن عيون الأصدقاء في سهرات الليل
طافت برؤوسهم الظنون ، فاعتقدوا أنني أسىء استغلال الحرية
أثناء سفر زوجتي باعتبار أن الزواج قرار بتحديد إقامة رجل في مكان
تحكمه امرأة وتفرض على هذا الرجل سياسة منع التجول في
المدينة بعد السادسة مساء . ولم يطف بذهن واحد من هؤلاء
الأصدقاء أنني كنت ألزم البيت في محاولات فاشلة لكسر حاجز
الخوف واستعمال هذه المنفضة ، وليكن ما يكون .

.. حتى كانت تلك الليلة التي حسمت فيها أمري وقررت
التنفيذ ، وفي اللحظة التي اشعلت فيها السيجارة التي سوف ألقى
بها في المنفضة دق جرس التليفون .

وجاء صوت زوجتي من بعيد . ثم قالت لي بعد التحيات
والأشواق وأخبار الأولاد :

— ماذا تفعل .

— كما ترين .. في البيت .

— أين تجلس ؟

— ..

— لا بد أنك أمام المنفضة البرونزية لتذكرك بي . فأنت تعرف
أني أحبها .

— طبعاً طبعاً ..

— أنت أمام المنفضة ؟؟

— أنا أمام المنفضة .

وجدت نفسي التقط من المنفضة البرونزية عود الثقاب الذي
أشعلت به السيجارة ، وبحركة لا شعورية دسسته في جيبي وكأنني
أخفيه من زوجتي التي واصلت حديثها .

— هل تدخن ؟

— هه ؟ .. أجل .. ولكن أقسم بالله لا استعمل المنفضة ..
دخل صوت عامل التليفون يقول : المحادثة انتهت .
فعلا المحادثة انتهت في قضية المنفضة ، القضية نفسها
انتهت . ونهضت لأرتدى ثيابي وخرجت .

لقد أتيتم بي إلى هنا في هذه الندوة لأشرح لكم كيف حدثت
المعجزة وكيف قهرت إرادتي كل الحواجز . إنني سردت لكم
القضية بالتفصيل لأصارحكم بأن الأمر لا ينطوي على بطولة
أو عزيمة جبارة ، فقد كان الحل الوحيد لإنقاذي من محنة المنفضة
المحرمة هو أن أقلع عن التدخين .
هكذا أقلعت عن التدخين !

من المشاكل الأليمة التي قد تصادف الزوجة حالة الخرس
المنزلي التي قد تصيب الزوج بعد فترة من الزواج ، إذ يفقد الرغبة
في الكلام داخل البيت ، فإذا ما تجاوز حدود البيت الجغرافية ..
انطلق لسانه بالحديث مع الأصدقاء وغير الأصدقاء .

وعندما كتبت عن هذا الخرس المنزلى أول مرة ، قرأ على أمين
المقال ثم قال لى : هذا موضوع حيوى جدا ولكن لا يكفى أن
تكتب عن الداء بل عليك أن تصف الدواء .. إن الزوجات
المعذبات بصمت الأزواج لاحصر لهن ، ففكر فى روشنة لعلاج
الزوج المخروس .

كان الذى دفعنى إلى الكتابة عن الخرس المنزلى يومها حالة
قريتى أمينة وزوجها يوسف .. لقد سبق زواجهما غرام نارى ..
فى الجامعة كان يوسف لا يكف خلاله عن الهمس والمناجاة ، ولم
تكن أمينة تسمع صوته فقط ، بل كان ييث لها إرساله الغرامى
بالصوت والصورة : يسبل جفنيه كالحالم ، ويفتح ذراعيه فى
حنين ، ويسط كفيه فى حيرة .. وتبدى فى عينيه نظرة الملتاع وهو
يهمس إليها بأحلى الكلام !

بعد مستين من ليلة الزفاف ، بدأ إرساله العاطفى يضعف شيئا
فشيئا ، وبدأ صوته يبطؤ وكأن بطارياته فى النزع الأخير .. وفى
الماضى الأول كانت كلمة أحبك كنبض قلبه .. يدق بها فمه كل
ثانية .. وفى الماضى القريب أصبح كساعة الحائط ، ويدق بكلمة
أحبك كل ربع ساعة ، ثم كل نصف ساعة ، ثم كل ساعة ، ثم
أختفت الكلمة من شفثيه ، وما لبث أن اختفى من فمه الكلام كله !
أدركته سكة اللسان المنزلية .

وأصبحت أمينة تكلم نفسها فى البيت ، فالحديث من طرف
واحد : تتحدث وتقول وتعيد القول لعله يخرج عن صمته ..
أبدا ، استعاض عن تعبير اللسان بهزة رأس لا تعرف هى معها إن
كان رده إيجابا أم سلبا ، إذا سأله الرأى فى التسريحة الجديدة هز
رأسه . وإذا سأله هل يفضل التسريحة القديمة هز رأسه . وإذا
حاصرت بالأسئلة وأرادت أن تعرف بالتحديد هل التسريحة تعجبه
أولا تعجبه .. جاءها صوته يعلن شخير النوم !

الشيء المحير... أنه كان يحبها جدا ! إذا أصابها وعكة ظل جالسا إلى جوار فراشها ، مرة يربت على كتفها ، ومرة يلثم كفها ، ومرة يحكم الغطاء من حولها ، وليس على لسانه طوال هذا كله إلا : سلامتك يا حبيبتي... سلامتك يا حبيبتي...

قلت لأمينه : على أمين عنده فكرة رائعة لانتزاع يوسف من صمته .

— اسعنى بها أرجوك .

— أن تثيرى موضوعا يحتمل وجهتى نظر ، خذى جانب وجهة النظر الضعيفة فهذا يشجعه ويفتح شهته للكلام .

— مثل ؟ !

— فكرت قليلا ثم قلت لها : عقوبة الإعدام مثلا... هل تبقى عليها أو تلغيها... هذا مجرد مثل طبعيا وليس بالضرورة أن تثيرى مناقشة حول عقوبة الإعدام .

قالت لى أمينة فى سعادة : اختلقت المناسبة وبدأ النقاش من طرف واحد طبعاً . تتابعت هزات رأسه ، وكاد كل شيء ينتهى لحظة أن بدأت ، فقد فهمت أنه يؤيد أيضا عقوبة الإعدام ، غير أنى استطعت أن أواصل الحديث بشكل آخر ، وأعقد أنى نجحت .

— هل تناقش معك ؟

— كل الدلائل تؤكد أنه سوف يشتبك معى فى جدل عظيم . لقد مضى يومان وأنا أحدثه عن عقوبة الإعدام ، وكم أنا سعيدة بهذا الموضوع الذى سوف أستمع فيه ، فهو يستمع إلى حديثى بدهشة بالغة مرددا : اسكتى يا أمينة... لا تقولى هذا... غير معقول !

عندما التقيت يوسف كان شديد الاكتئاب . قال لى : اننى أشعر بقلق بالغ بسبب أمينة فقد مضت عليها أيام ولا حديث لها إلا عن عقوبة الإعدام . إن الموت بالشنق أو بالغاز أو بالمقصلة أو بالكرسى الكهربائى عقوبة غير رادعة فى نظرها . لأنها تنهى حياة المجرم بسرعة دون أن يتألم... أننى أرتاع وهى تصف لى كل يوم طريقة تعذيب جديدة من ابتكارها لقتل المجرم ببطء خلال أيام . لقد كنت أستمع إليها وأنا مذهول . إنها فى منتهى الوحشية ولم أكن أعرف ذلك... هل من المعقول أن تكون أمينة الرقيقة الوداعة ذات نزعات عدوانية دموية على هذه الصورة المخيفة ؟

فى الصباح التالى حاولت أن أقنع أمينة بالعدول عن الحديث عن عقوبة الإعدام لأنه موضوع سخيف ، ولكننى فشلت . فقد رأت أن هذا الموضوع قد نجح فى استفزازه للمناقشة ومن المفيد أن تستمر فيه .

قلت لها :

— يا أمينة... يوسف أصبح ينام فى الغرفة الأخرى .
— وما شأن هذا بموضوعنا... إنه ينام فى الغرفة الأخرى هربا من صوت المكيف .

— كلا . قال إنه يخاف أن تقتليه وهو نائم .

— ماذا تقول ؟

— يوسف يعتقد أن لديك ميولا عدوانية كاسنة يمكن الشفاء منها لو توصل الطبيب إلى جذورها .

قال لى على أمين : متى ستكتب روشتات علاج الخرس المنزلى ؟

كتب في صفحة المرأة أول رويضة للعلاج فاتصلت بي قارئة
وقالت بعد المقدمات : لقد كتب تقول : يمكنك يا سيدتي أن
تخلقي حديثا مرحا بينك وبين الزوج الصامت كأن تسأله مثلا :
ماذا تفعل لو هبط عليك مليون جنيه ؟ ما هو المشروع العاجل الذي
تبدأ في تنفيذه ؟ وما هي الأمنية بعيدة المنال التي يمكن أن يحققها
لك بعض هذا المليون أو كله ؟

قلت للقارئة لأعرف ماذا تريد بالضبط : أرجو أن أكون قد وفقت
في هذه الروضة يا سيدتي .

— الحق أن زوجي كان يجلس معي أبكم تماما . . وما أن
طرحت عليه سؤال المليون جنيه حتى برقت عيناه وبدأ يتكلم .
الحمد لله . مبروك يا سيدتي .

— بل لقد تجاوز مرحلة الكلام فاحتدم بيننا جدل عنيف حول
المليون جنيه .

— وهذا هو المطلوب .

— تصور إنه رفض أن يقسم معي المليون جنيه .

— ولا بد أن هذا أضفى على المناقشة حيوية خاصة . .

— حيوية خاصة ؟ لقد تركت له البيت إلى بيت أبي . . ما هذه
الكتابات التي تكتبها لقد خربت بيتي الله يخرب . .

انتظرت السيدة ودا مني لكنني لم أرد . ظلت تقول : آلو . . آلو
ولم أرد . . سمعتها تقول لأخرى بجوارها : تصوري الخط انقطع
قبل أن ألعن سنسبيل جدوده .

اتصلت قارئة أخرى تسأل : هل أنت الذي كتب سؤال المليون
جنيه ؟

ترددت قليلا بعد التجربة السابقة ثم قلت : كلا يا سيدتي هو
زميل لي . .

وألحت السيدة في معرفة اسم هذا الزميل فاخترعت لها اسما
هو : جمعة عمران .

— وأين الاستاذ جمعة عمران .

— مات هذا الصباح .

قلت بعد تلقي عزائها :

— خيرا يا سيدتي ؟

— . . . أعتقد أن المرحوم جمعة كان يعرف جانباً من قصة
حياتي فإن ما كتبه هو نفس السؤال الذي طرحته على زوجي ذات
يوم : ماذا تفعل لو هبط عليك مليون جنيه ؟ . . فرد قائلاً : اشترى
لك بيتاً صيفياً في بورتوفينو حيث قضينا شهر العسل وأسميه
« مملكة الحب » . .

ثم قالت السيدة : ولقد صار زوجي مليونيراً بالفعل .

— مبروك بيت بورتوفينو .

— كلا . لم يشتر بيتاً في بورتوفينو .

— ماذا فعل إذن بعد المليون ؟

— تزوج السكرتيرة .

جاء في الروضة السابعة التي كتبها لعلاج الخرس الزوجي :
اختلقي المناسبة واطرحي على زوجك سؤالاً مرحاً : في أي عصر
كنت تمنى أن تعيش ؟ العباسي ؟ الفرعوني ؟ الروماني ؟
الأندلسي ؟ . . ومن هي الشخصية التاريخية التي كنت تود أن
تكونها ؟

اتصلت بي قريبتى أمينة فقلت لها : ابعديني عن المتاعب من
فضلك ولا تطلبي مني رأياً أو مشورة .

قالت : بل جئت أشكرك فقد عاد يوسف إلى حالة الصمت

ولكن الحمد لله ، إذ أوجت لى الروشة السابعة بفكرة : فقد نظرت إلى يوسف بعد انتهاء برامج التليفزيون وقلت له :
— هل تعرف أنك شديد الشبه بمارك أنتونى ؟

— من ١٩٩

— مارك أنتونى .

— وأين رأيت صورة مارك أنتونى ؟

— لا تنس أنى خريجة قسم تاريخ .. وأذكر أن المؤرخ بلوتارك وصف ملامح مارك أنتونى .. تماما هو أنت بالضغط ! كيف فاتنى أن أقول لك هذا ؟ .. آه لو عشنا عصر مارك أنتونى !!

— وتكونين أنت كليوباترا طبعاً .. لكن خبرينى : ماذا يقول بلوتارك عن ملامح مارك أنتونى ؟

— يقول عيناه تشعان ذكاء داهما . تضاريس وجهه تعبر عن قوة الشخصية المسيطرة فى جمال رجولى ساحر .. هذا هو أنت !
— أترين فى عيني الذكاء الداهم ؟

— بل هو يضوى فى عينيك كبريق الماس .

ضحك يوسف فى سعادة ثم قال :

— لم تقولى لى ذلك إلا مرة واحدة عندما كنا خطيبين . كنا على صخرة سيدى بشر فى الاسكندرية وقلت لى : لم أر عينيك أبدا فى الضوء الساطع . أرنى مالون عينك ، ثم نظرت إلى عيني وقلت لى : إن فيهما ذكاء حادا .

عجبت حقا أن يتذكر يوسف المكان والزمان ونص الكلمات إذن .. فليس الغوانى فقط اللاتى يغرهن الشاء .. الرجال أيضا . لقد أصبح يوسف شديد الولع بإطراء ذكائه .

وأردفت أمينة . إنى أنصحك بأن تكتب الروشة الثامنة بعنوان :
حدثنى زوجك عن ذكائه .

قلت لها : أوافقك تماما ، فإن الحبيين يظنان متعلقين ببعضهما

البعض فى غرام شديد لأن كلا منهما لا يتحدث عن نفسه ، بل يتحدث عن عظمة الآخر ، وبعد الزواج يبدأ كل منهما فى التحدث عن نفسه ، عن عظمتة الشخصية ، فيفقد الحديث - بالنسبة للطرفين - سحره وجاذبيته .

مضت مدة طويلة لم أرفيها أمينة ، وعندما التقيت بها كانت حزينة دامعة العينين .

— مشكلة الخرس أيضا ؟؟

— بالعكس . انتهت مشكلة الخرس تماما .

— ماذا إذن ؟؟

— لقد أصبح يوسف مفتونا بحدثى عن ذكائه . ذات يوم قال لى : هل تذكرين ما قاله بلوتارك عن مارك أنتونى ؟ .. كنت قد نسيت القصة كلها ، وتذكرت بصعوبة أننى قلت له أن بلوتارك وصف مارك أنتونى بكذا وكذا ، ولكننى لم أتذكر ما قلته على لسان بلوتارك فى وصف القائد الرومانى ، فقد كان الوصف كله من اختراعى ، بل إن المؤرخ بلوتارك - فى الحقيقة - حمل على مارك أنتونى وكليوباترا وكان يأخذ عليهما قلة الأدب والسوقية وهما يتبادلان النكت البذيئة بصوت مرتفع .

المهم أن يوسف أنقذنى من الحرج فبادر بذكر ما قلته له تقلا عن بلوتارك من أن عيني مارك أنتونى كانتا تشعان ذكاء داهما وكان وجهه رجوليا ساحرا ..

وأضافت أمينة : إلى هذا الحد أصبح يوسف مولعا بإطراء ذكائه ، ثم أصبح يروى لى قصصا عن ذكائه . وكانت قصصه ممتعة وباهرة وهو يحكى من خلالها عن مواقف وضعته فيها الظروف ، وكان ذكاؤه هو السلاح الماضى فى تلك المواقف ، كم كنت فخورة

وهو يروى تلك القصص ، إلى أن كان ذات يوم عندما نسي مكتبه في البيت مفتوحا ، وجدت كتبا كثيرة بالانجليزية عن مارك أنتوني ، وكتبا عنوانه : ومضات من حياتهم وفيه كل القصص التي رواها يوسف عن نفسه بينما أبطالها الحقيقيون هم غاندي ونابليون ودرزرائيلي وتشرشل وغيرهم العظماء .

— تعين أنه كذاب ؟ كل الرجال كذابون ، حتى ملوك الفراعنة . العظام الذين ليسوا في حاجة إلى الكذب .. كان كل منهم يتحل انتصارات غيره بوصفه بطلها وصانعها . قالت أمينة : لا يهمني أنه أصبح كذابا .. ولكن .. ولم تستطع أمينة أن تكمل .. انطلقت في بكاء مؤلم ألمني كثيرا .

بصعوبة عرفت منها - بين شهقات بكائها - أن يوسف توجه إلى وكالة البحر وابتاع خوذة قديمة لرجل مطافيء ، وضعها على رأسه وأصبح يصبح في البيت .
— أنا مارك أنتوني .. أنا مارك أنتوني !

مع كل حبس
وأكاذيبى !

نحن في أبريل :
وقد اعتاد الناس أن يكذبوا في شهر أبريل كما اعتادوا أن يكذبوا
في كل شهر !

ولا أحد يعرف على وجه التحديد كيف نشأت كذبة أبريل .
هناك رواية تقول أن كذبة أبريل نشأت من ٤٢٠ سنة عندما غير
شارل التاسع ملك فرنسا بداية السنة الميلادية من أول أبريل إلى
أول يناير . فلما اعتاد الفرنسيون أول يناير عيداً يتبادلون فيه هدايا
رأس السنة ، ظلوا يحتفظون بعيد أول أبريل ، فيتبادلون الهدايا
الرمزية الكاذبة والأكاذيب المرححة حيث يقول الزوج المزمّن لزوجته
أحبك ياروحى ، فتبادلته الكذبة : أحبك يا حياتى !

وسواء كان أصل كذبة أبريل حكاية شارل التاسع أو غيرها ، فقد
نجح الإنسان عموماً فى خلق احتفال عام بالكذب فى أول أبريل ،
أو على الأصح نجح فى إيجاد « اليوم العالمى للكذب » !

فلعل من الملاحظات المفيدة التى تخرج بها من زيارتك لحديقة
الحيوانات أنك لن تسمع أو ترى بين الحيوانات جميعاً حيواناً واحداً
يكذب ، فمادام الإنسان هو الحيوان الوحيد الناطق ، فهو أيضاً
الحيوان الوحيد الكاذب .

ان الإنسان يتوق إلى قول الأكاذيب كما يشتهى سماعها أيضاً ،
بل إنه يسعى إلى شراء الأكاذيب بالفلوس ، فإن أكثر الناس شهرة
هم الكتاب الذين يؤلفون قصصاً لم تحدث ، والممثلون الذين
يمثلون شخصيات وهمية ، والمخرجون الذين يوفرون الحبكة
والانتقان لكل كذبة .



ويبدو أن الكذب ضرورة فى حياة الإنسان ، فلولجأ الإنسان إلى
الصدق المطلق لأصبحت حياته شديدة التعقيد ، وامتلأت أقسام
الشرطة والمحاكم بالمتنازعين ، وحدثت أزمة شديدة فى سراير
عناير الكسور بالمستشفيات .

لنأخذ مثلا بسيطا .. هذا رجل يقول لصديق حميم له :
لا تتصور كم كانت زوجتي سعيدة عندما علمت أن زوجتك وأولادك
سوف يكونون على مائدتنا في الغداء يوم الجمعة .
ترى ماذا يحدث لو قال الرجل الحقيقة لصديقه الحميم وروى
ما حدث بالفعل قائلا :

عندما اقترحت على زوجتي أن تتناول الغداء معنا يوم الجمعة
القادم لطمت وبكت ، لكنني صممت فاستسلمت أمام إصراري
على دعوتكم ، إذ أنك تعلم أنها لا تطيق زوجتك ولا باروكات
شعرها ولا فسائنها ذات الترتير في عز النهار ، كما أن زوجتي تعتبر
أولادك في منتهى قلة الأدب ، خصوصا الولد أشرف الذي سكب
شورية الطماطم على مفروش المائدة ، ولطخ الأويسون بالكريم
شانتى ، هذا بالإضافة يا صاحبي إلى أنها ترى فيك انسانا غبيا ثقیل
الظل وتقول - كلما رأتك - أنها تزداد اقتناعا بأن الإنسان أصله
حمار .

إن كل الكبار يكذبون .
ولأن الصغار لا يعرفون الكذب ، فإننا نتخذ من كلماتهم
الصادقة نوادر نرويها في المجالس .. هذا طفل مثلا يقول لمحصل
القطار : عمري ثمانى سنوات ولكنهم نصحنونى بأن أقول أن عمري
خمس سنوات لأركب بنصف أجرة ، فيقول المحصل : براقو ..
أنت ترى إذن أن الكذب لا جدوى منه ، فيرد الصغير : لا تكن
ساذجا يا سيدى .. فالكذب يوفر نصف ثمن التذكرة .

وهذه طفلة تواجه أسئلة التحقيق من جدتها فتقول : لقد كنت أنا
وأخى في غرفة المائدة بالطابق الأسفل نلعب لعبة ماما وبابا ،
فجلست أنا على رأس المائدة وجلس أخى فى الناحية الأخرى ،

وما لبث أن قال : هذا طعام تعافه حتى الحيوانات ، فقذفته بالطبق
الذى سبب له هذا الجرح فى حاجبه .. وعلى أى حال أنا متأسفة
لإصابته فى حاجبه .. كنت أريد أن أصيبه فى رقبته كما فعلت ماما
مع بابا .

وهذا أب يحاول أن يبسط لابنه معلومة علمية .. هل تعرف
يا صغيرى لماذا يتصاعد البخار هكذا من اناء الشاي ؟ فيرد
الصغير : طبعا أعرف .. هذا البخار يتصاعد حتى تتمكن ماما من
فتح خطابائك قبل تسليمها لك .

ورغم أن الإنسان شديد التعلق بالكذب إلا أنه يرفض أن يوصف
بأنه كذاب ، ولذلك فهو يطلق على أكاذيبه أسماء مختلفة ، فأحيانا
يسمى الكذب مجاملة ، وأحيانا يسميه لباقة ، وأحيانا يسميه ترضية
أو مسألة ذوق .

والكذب الأبيض ضرورة فى الحياة الزوجية (والكذب الملون
أحيانا) ولأن المرأة تتمتع بذهن يستوعب الكثير من التفاصيل
الدقيقة التى يسقطها ذهن الرجل ، فإن استجواب المرأة للرجل بعد
أن يلقي بأكذوبته عليها ، يمثل معاناة حقيقية دونها معاناة البائس
الذى كان يتعرض لاستجواب تعذيبى من الجستانبو .

إن السؤال المخالد الذى يتعرض له الزوج وبعد له مائة رد لينتقى
منها الأحسن والأفضل ، هو عندما تواجهه الزوجة قائلة : أين كنت
حتى هذه الساعة ؟

إن نفس هذا السؤال من المحبوبة - أيام الغرام - كان يطرب
حبيبها طربا شديدا لأنه مؤشر غيرة عليه ، أما بعد زواجه منها فقد
ثبت أن هذا السؤال يتسبب فى هبوط أحشاء الزوج مع الإسهال

واضطراب الدورة الدموية بسرعة النبض وارتفاع الضغط ، ثم جفاف الحلق واصفرار الوجه مع دوار ضعيف .

ولهذا فإن الكذب المتقن من جانب الزوج يحتاج إلى تماسك عصبي غير عادي ومهارة ذهنية عالية ، ومن هنا انقسم الأزواج في ذلك إلى قسمين : الأزواج الأذكياء والأغلبية !

والإرهاب الذي يتعرض له الزوج تلخصه لنا قصة تلك الزوجة التي قالت لصديقتها : لقد ظلمت استجوبه أربع ساعات لأعرف أين كان حتى الخامسة صباحا . فقالت لها الصديقة : وبماذا خرجت بعد هذه الساعات الأربع ؟ قالت الزوجة : خرجت بمعطف من .

من جانب آخر نرى الزوجات معذورات حقا إذا ثارت أعصابهن أمام أكاذيب ساذجة سقيمة الخيال . فهذا زوج يبرر عودته في الثالثة صباحا بأن عجلات السيارة جميعها « نامت » في وقت واحد .

— الإطارات كلها ؟

— كلها

— حتى الاستين ؟

— حتى الاستين .

ولأن القانون لا يحمي المغفلين فمن العسير أن يجد مثل هذا الزوج من يحميه من أظافرها وأسنانها . . . أو لسانها وهذا أضعف الإيمان .

ولأن ذهن المرأة - كما أسلفنا - يهتم بالتفاصيل ، فهذا زوج لم يحسب حساب ذلك ، إذ ادعى أنه ذهب ليقص شعره وكان المحل - ككل مرة - مزدحما ، فانتظر وانتظر ، وأخيرا انصرف من المحل دون أن يقص شعره . هنا ننظر إليه الزوجة في هدوء قائلة : ولكن اليوم الاثنين . . . وكل محلات الحلاقة مغلقة !!

وقد تضيق الزوجة بالأكاذيب والخداع وتطلب الطلاق ، فنراه بعد الطلاق يكتب إليها : إن الكلمات يا حبيبتى لا يمكن أن تعبر عن ندمي لما فعلته معك . عودى إلى يا حبيبتى . فإن غيابك يترك فراغا رهيبا لا تستطيع ألف امرأة أن تملأه . أتوسل إليك سامحيني واغفري لى أكاذيبي ولنبدأ صفحة جديدة فأنى فى أشد الحاجة إليك - حبيبك فلان .

ملحوظة : بالمناسبة يا حبيبتى أهتاك بفوزك بجائزة البنك الأولى ٥٠ ألف جنيه .

إن صديقى « نون » يلخص فلسفة الكذب في الحياة الزوجية عندما قال له والد زوجته : هل تعرف يا ولدي ماذا سيحدث لك إذا كذبت عليها ؟

— قال نون : أعرف يا عمى . . سأذهب إلى النار ، قال أبوها : وهل تعرف ماذا يحدث إذا قلت لها الصديق ؟

— قال نون : أعرف يا عمى . . سأذهب إلى محكمة الأحوال الشخصية لأنها ستطلب الطلاق .

وإذا كان الكذب الأبيض ضرورة في الزواج ، فإن الحب بكل روعته وحلاوته ليس إلا مجموعة من الأكاذيب المزركشة .

يقول جبران خليل جبران : وسرور الحب وهم لا يطول . . . وجمال الحب ظل لا يقيم . . . وعهود الحب أحلام تزول . . . عندما يستيقظ العقل السليم .

وغياب العقل السليم عن العاشق لا يجعل منه فجنونا فحسب يرتكب جنونيات الحب الجميلة ، بل يحيله أيضا إلى أكبر كذاب في الدنيا !

غير أن الكذب في الحب لا إرادى ، فالذى يحدث بالضبط أن
الحب يقوم بعملية غسيل مخ لكل من الطرفين . . مثلا يحدث أن
تتعرف فتاة بشاب في مجتمع ما ، ويتضح لها منذ الرحلة الأولى أن
أنفه في حجم القلقاسة ، ومع الأيام قد تتصاعد درجات الإعجاب
بالشاب إلى مرحلة الحب ، وهنا ترى الفتاة أنف ذلك الشاب
القلقاسى بصغر شيئا فشيئا ليصبح في حجم التفاحة ، ثم في حجم
البرفوقة ، ثم تنياهى بين صديقاتها بأن أنف فتاها نبقة من الشام !

لقد كان لنا في الجامعة صديق اسمه عبد العزيز ، كان شاعرا .
رقيقا رفيع الذوق محبا للجمال ، وقال فى سلمى زميلتنا أروع
القصائد فى العيون الحوراء ، والجيد الأغيد ، والأنف الرومانى
والقوام السمهرى والشعر الحرير .

وتزوج عبد العزيز من سلمى .
ولأن عبد العزيز رفيع الذوق محب للجمال ، فقد أصابته دهشة
عظيمة عندما رأى صديقا له عن بعد يغازل امرأة بعيدة كل البعد عن
الجمال .

وناداه عبد العزيز وسأله :

— هل تحب المرأة الصلعاء ؟

قال صديقه .

— كلا .

— هل تحب المرأة ذات السيفان المعوجة ؟

— كلا .

هل تحب المرأة ذات الصوت الأراجوزى ؟

— كلا .

هنا صاح عبد العزيز .

— إذن قل لى بحق السماء . . لماذا تغازل سلمى زوجتى ؟؟

والخير
جسمى
لجميلة !

تعودت أن أعتذر باستمرار عن عدم حضور الندوات ، فإن
الاعتذار عن عدم الحديث فى ندوة أفضل بكثير من الاعتذار عن
الحديث فيها .

ولقد حضرت فى حياتى ندوتين ، الأولى كانت فى ناد معروف ، وبعد جلوسى فى قاعة الندوة أدركت أن حديثى لن يكون ترفيهيا . . ولا ظريفا ، بل غليظا ، إذ تقدم رجل إلى الميكروفون وأشار نحوى قائلا إن فلان الفلانى سوف يتحدث إليكم ، ثم يعقب ذلك برنامج ترفيهى ظريف !

وكعادة المتحدثين استهللت الندوة بالنكتة التى أعدتها . وأسعدنى أنها كانت نكتة رفيعة المستوى لدرجة أن أحدا لم يضحك ، ثم بدأت حديثى منفذا تعاليم الذين تمرسوا من قبل فى إلقاء الخطب والأحاديث ، إذ قالوا لاتخش العيون التى تحملق فىك وتجنب أن تلتقى عيناك بأى من تلك العيون ، وأرفع رأسك وانظر إلى لا شىء ، ثم احصر تفكيرك فيما تقوله دون أن تنسى الابتسامة .

ورفعت رأسى ، وتعقلت عينائى بفضاء القاعة ، أدير رأسى يمينا ويسرة . . ومن اتجاه بصرى إلى لا شىء ، ومن حركة رأسى ، سرت همهمة فى القاعة - كما علمت فيما بعد - بأننى كفيف ، وهذا فسر لى بسهولة ما كنت أشاهده من جمهور الحاضرين ، إذ كانوا يتسللون على أطراف أصابعهم خارجين .

كانت هذه الندوة كافية لكى أعترل الذهاب إلى أية ندوة ، لكننى وجدت نفسى - تحت ضغوط أدبية - متورطا فى ندوة أخرى عن الحب والزواج .

تحدثت عن الحب ، وقلت إنه يتكرر فى أثواب كثيرة ، أحيانا يتكرر فى ثوب الانتقام أو ثوب الكراهية أو ثوب الزواج ، وما كدت أقول أن الزواج هو أفضل أنواع الحب نضجا وعمقا ، حتى وقف رجل وقور وشفق - بمفرده - كثيرا !

كان الرجل في منتصف الستينات ، رشيق القوام ، فضى الشعر ، استأذن أن يتكلم بعد أن قدم نفسه : يوسف الفلانى . قال الرجل : إن أخطر ما يهدد الزواج فى رأى هو الغرام الرومانسى المفتعل بين العريس وعروسه .

فى البداية يجب منذ اللحظة الأولى - أن يكشف كل منهما للآخر عن أعماق نفسه . إن الإنسان هنا أمام شريك أبدي للحياة ، فإلى متى يقوم بدور تمثيلى له - بالقطع - نهاية ذات يوم ؟ . يجب أن نعرف أن شهر العسل وما بعده مرحلة أولى وهمية . تعقبها المرحلة الثانية وهى الحقيقة بكل تفاصيلها الحلوة والمريرة . فى المرحلة الأولى يقول كل منهما للآخر : أنت الدنيا . . أنت العالم كله ، فى المرحلة الثانية يدرك كل منهما أنه كان ضعيفا فى الجغرافيا . فى المرحلة الأولى تخلع الزوجة نعال زوجها عند عودته مجهدا إلى البيت ، وفى المرحلة الثانية تخلع الزوجة نعالها عند عودته متأخرا إلى البيت .

كان للرجل الوقور حضور وجاذبية وأبوة أيضا ، فأشاع البهجة من حوله والرضا ، وفجأة قال للحاضرين : كلمتى الآن إلى السادة الأزواج . . كل زوج يحب زوجته حبا غراميا يفضل بالوقوف .

وقف رجل بين الجالسين يربت على كتف زوجته ضاحكا وهو يقول : أنا ! ثم تبعه أزواج آخرون فى الوقوف . ونظر إليهم الأستاذ يوسف الفلانى وقال لهم فى انحناءه خفيفة : اننى أقدر حقا ظروفكم العسيرة وزوجاتكم الى جواركم .

دعوت « العم » يوسف ليشرح وجهة نظره بالتفصيل . قال الرجل : عندما أحببت زوجتى جميلة كانت تتلقى منى - قبل أن ترائى - رسائل حب بلا توقيع ، وكانت تسهر الليل - كما قالت لى - تستعيد سطورى ثم تستسلم للأحلام والتهنيدات . . . اختصر وأقول : أصبحنا خطيبين .

قلت لجميلة : أعرف صديقا أفهموه أن حياة الزوجين تحت سقف واحد تذهب بالغرام وأشواقه ، فبنى فيلا من دور واحد وجعلها بسقفين فوق بعض حتى يتجنب الحياة مع عروسه تحت سقف واحد .

ضحكت خطيبتى وقالت : كم هو مغفل ! أسعدنى هذا التعليق من جانبها . ترائى لى أنها متفهمة لطبيعة الحياة الزوجية .

فى اليوم الخامس من شهر العسل قلت لجميلة زوجتى بهدوء : إن الرسائل الغرامية التى كتبتها لك ، كنت أنقلها من أقوال الكتاب والشعراء فى الكتب عندى . وتجاهلت شهقتها وخيبة الأمل التى تبدت على وجهها ومضيت أقول : أعرف أن هذا يؤلمك كثيرا ولكن ما حيلتى ؟ لقد وقعت فى هواك فكيف كان يمكنى أن أعبر عن حبنى لك مثل شاعر أو كاتب وأنا مجرد كيميائى ؟

لا تقولى إننى غشاش ومخادع . . هل إذا كان الله قد وهبى صوتا جميلا وغنيت لك أغنيتنا المفضلة « إنى أنتظرك » فهل أكون غشاشا لأنى أردت كلمات ليست لى ؟ وهل إذا أهديتك زهرة فهل تقولين لى لا تهدينى زهرة مقطوفة . . أريد زهرة زرعتها بيدك ؟ . . بل إذا قلت لك الآن أحبك . . فهل تتصورين أن هذه الكلمة من تأليفى ؟ لقد قالها أبى لأمى ، وقالها جدك لجدتك ،

وهمس بها رمسيس لنفرتارى ، وقالها - قبل هؤلاء جميعا - آدم لحواء .

لقد بكيت جميلة وتمنت لو كنت قد تركتها مخدوعة ، قلت لها لا أحب أن أبدأ حياتنا بالخداع ، فأبدت أسفها لأننى لم اكتب ما أحس به أنا من مشاعر .

يا جميلتى .. أن الحب احساس انسانى واحد ولكن القدرة على التعبير عنه تختلف من انسان الى آخر . ان هؤلاء الشعراء الذين نقلت لك تعبيراتهم كانوا محترفى حب . لا يحبون للحب ، ولكنهم يحبون ليقولوا ويكتبوا . حرفة . أنت يا جميلة عندما تتأملين عاشقا مثل قيس سوف تجدينه شابا مختل العقل ، يخلق الظروف ليكون سلبيا مع محبوبته حتى يتحول حرمانه منها الى شعر يقال ويرويه الرواة .

الأرجح ، بل المؤكد أن هذا القيس كان سافلا ، ففى مجتمع كان يثد البنت عند مولدها دفعا للعار ، جعل قيس سيرة ليلى على كل لسان .. بل ان شعراء الحب العذرى لم تصل اليها قصص حبهم إلا لأن كلا منهم فضح حبيته بقصائده ، فنحن لم نعرف بيثية إلا من شعر جميل بن عبد الله ، ولم نعرف عزة إلا من شعر كثير الخزامى ، فإذا كان رواد الحب العذرى الطاهر على هذه الشاكلة ... فكيف تتصورين سفالة الآخرين ؟

لقد بدا على زوجتى عدم الاقتناع بما أقول . حاولت أن أشرح لها أننا بقدر ما نصعد الأعالي تكون مسافة الهبوط والانحدار . حكيت لها عما سمعته عن الممثل السينمائى الوسيم الذى تزوجت به معجبة تدلته فى حب وأولع هو بها عشقا ، وعاش الاثنان قصة

حب سينمائية اكملت لها كل عناصر الرومانسية التى تخلق بالمحبين فى السماء ، ثم حان أوان الهبوط إلى الأرض ، وتحولت المعجبة إلى زوجة عادية - كما أريدك أن تبدئى يا جميلة - وانطلقا الغرام المتقدم ، وذات يوم خرج شقيق زوجة الممثل مع كلبها المدلل للنزهة ، وصدمت الكلب سيارة ، واجتمعت الأسرة تتداول كيف ينقلون إليها هذا الخبر الرهيب ، فاستقر الرأى على أن يقولوا لها الخبر مخفقا فى البداية ، وفعلوا ، قالوا لها زوجك صدمته سيارة ، فانزعجت انزعاجا شديدا ، ثم أغشى عليها عندما عرفت إنه الكلب .

لماذا لا نبدأ يا جميلة من حيث تنتهى قصص الحب المتقدم وتخبو منه النار ؟ .. ان النهر الواحد متصل ببعضه البعض من المنبع إلى المصب ، والنهر يبدأ من منبعه عنيقا قويا ، يندفع فى شلالات هادرة ، ويجرف فى طريقه كل شىء ، ولكنه عند المنبع يكون ضحلا دائما بلا أعماق . هذا هو الغرام . ثم يعمق النهر ويستقر ويتزن عندما يقترب من المصب . هذا هو الزواج . انهما نهر واحد متصل : الحب والزواج . فالزواج هو الحب فى أروع مراحلها نضجا وعمقا واتزاناً .

خرج المحاضرون مبهورين حقا بالعم يوسف الذى رد للزواج اعتباره كمرحلة حب باقية ودائمة على الزمان .

وعندما أصبحنا وحدنا - بعد انصراف الناس - خرجت أتمشى مع العم يوسف ، وسألته :

لم أعرف إن كانت السيدة جميلة قد اقتنعت بنظريتك أم لا وأنتما فى شهر العسل ؟

قال : لقد فرضت نظريتي بالقوة ، ففي اليوم السابع من شهر
العسل ضربتها ضربا شديدا حتى أغمى عليها لكي تقتنع بأنني لن
أكون ذلك الفتى الرومانسي ..

قلت له : وكيف الحال الآن ؟

قال : الحمد لله .. لقد مضى على زواجي من جميلة حتى الآن
أربعة وعشرون عاما .. ومنذ ثلاثة وعشرين عاما وأنا أرمل .



قد يتضح في ظروف خاصة أن للزوج فائدة ، ففي بعض
الاحيان تسيطر مهنة الزوج على تصرفاته وأحاديثه ، ويتحول عندئذ
إلى أداة تسلية وتثقيف للزوجة ، ومن هؤلاء الزوجات السعيدات
جارتنا ناهد .

ان زوجها لا يكلمها إلا فى تخصصه العلمى « علم الإنسان القديم » فلا يحدثها إلا عن إنسان جاوة البدائى ، وإنسان بكين ذى القامة المعتدلة ، وجمجمة إنسان نياندرتال ، وهو فى خلال حديثه الشائق يمسك بجمجمتها ، أو يدعها تمسك بجمجمته لتقف بنفسها على تركيب العظام ، فلما تمرست ناهد فى هذا العلم لطول ما حدثها فيه ، اكتشفت أن جمجمته منحدره الجبهة ، ولم تجاهره عندئذ بذلك ، وإنما علم الجيران بهذه الحقيقة العلمية فى الاشتباك الدورى بينهما ، فقالت ناهد بأعلى صوتها إن جمجمته ذات الجبهة المنحدرة والفك البارز هى بالضبط جمجمة الإنسان الشمبانزى البدائى الذى عثروا عليه فى الفيوم ، ثم راحت تحدد له الصفات المشتركة بين وجهه ووجه القردة العليا « الأورانجوتان » .



وكان الجار الثانى هو الدكتور كرم ، ولأنه شديد التعلق بتخصصه العلمى ، فقد كان يشيع من حوله لونا بهيجا ومسليا من الحياة ، ليس فقط للسيدة نعمت زوجته ، بل لكل الجيران أيضا ، وقد كنت أكثرهم استمتاعا بجواره ، إذ كانت نافذة غرفة مكتبى تطل على غرفة المعيشة عنده ، فاستغيت تماما فى أوقات الفراغ عن برامج التليفزيون اكتفاء بالعروض المثيرة التى يقدمها الدكتور كرم ، ذلك الأستاذ الحائز على ثلاث دكتوراه فى الدراسات الصوتية للغة ، ويبرهن بحق على أستاذية عظيمة فى علمه .

ذات مرة شاهدته جالسا فى غرفة المعيشة يقلب صفحات جريدة ، وما لبث أن نادى خادمة : يا عتتر ، ولما أتى صوت عتتر من بعيد يقول « نعم يافندم » . . اعتدل الدكتور فى جلسته متحفزا وقد ألقى الجريدة جانبا ، وجاء عتتر بعد برهة ليسأله الدكتور : هل كنت ترد على ندائى وفمك محشو ببطاطة مشوية ؟؟ . إن مخارج

الألفاظ وأنت تقول لى نعم يافندم تكشف بوضوح أنك كنت تأكل البطاطة .

وأكرر عتر . وأمام العصبية المتصاعدة للدكتور كرم ، اعترف الخادم بأنه كان يأكل قطعة مارون جلاسيه وهو يرد النداء . ولم يكثر الدكتور لهذا الاعتراف الصريح بالسرقة ، وصمم على أن عتر كان يأكل بطاطة مشوية ، ثم كلف الخادم بحضور البطاطة من المطبخ مع طبق المارون جلاسيه ، وراح يأمره بأن يحشو فمه مرة بقطعة مارون ومرة بالبطاطة ويقول « نعم يافندم » ، وظل الخادم يأكل المارون والبطاطة حتى أتى عليهما جميعا .

وعندما عادت نعمت من العمل وجدت أن عتر قد ترك البيت إلى غير عودة ، فأشاعت هي الأخرى فى أرجاء المنزل لونا من تجديد الحياة لكسر الروتين ورتابة المألوف ، وإذا صرخت ولطمت وارتفعت عويلها ، فقد أصبح عليها أن تقوم بأعمال البيت انتظارا للخادم السابع خلال شهرين . فقبل عتر كان هناك سعدان وأم الخير وحسين ومصيلحي وزاهدة والحنفى . ولقد تركوا الخدمة جميعا بسبب الخلافات العلمية مع الدكتور . أم الخير مثلا أخذ عليها الدكتور أنها ما من مرة ترد على ندائه إلا وهى تقفز لبا أبيض بالذات وليس لبا أسمر إذا ما ادعت ذلك عن الخادم سعدان ، فقد قضى أياما عصية والدكتور يدرسه على الطريقة المناسبة للكلام لأنه - فى رأى الدكتور - يتكلم كالرعاع .

عندما أدار دكتور كرم قرص التليفون رد عليه صوت نسائي بأن النمرة غلط ، وما لبث أن استولى عليه الاهتمام المهني فاستأذنها فى سؤال ، فلما أذنت له سألها : ما شكل سنتك الأمامية اليمنى ؟ .. لابد أن السنتين الأماميتين عندك بديعتا التكوين ، فأنت تنطقين حرف السين بجرس له عذوية خاصة .

— نعم ..

فلما أعاد عليها ما قال ، بدا له أن المرأة المجهولة قد طربت لهذا الشئ ، ولاقى فى نفسه ما شجعه على أن يقول لها : كم هو جميل حرف السين عندك .. قولى سلامات .

فأطلقت المرأة ضحكة أنثوية ثم قالت فى دلال : سلامات ، وسعد الدكتور كرم بأن السيدة متفهمة ومستتيرة تقدر الأبحاث العلمية ، وعندما بدأ يجرب حرفا آخر فى فمها هو حرف الزين ، قال لها : قولى لى : زورونى كل سنة مرة . واستجابت المرأة ، وما لبث أن صادف الدكتور هوى فى نفسها ، فتضاعفت سعادته وهى تسأله : تحب تسمع « السين » تانى ؟

— أرجوك !

— كلمنى عن نفسك ،

وتضحكا ، ومضى الدكتور يقدم نفسه إليها ، فأدلى باسمه ، ومهنته ، وعنوانه ورقم تليفونه ، ولم يكن الدكتور كرم يدري أن الذى كان يمسك بالسماعة فى تلك اللحظة ضابط شرطة الآداب الذى داهم مسكن المرأة .

فى الشقة المجاورة لمسكن الدكتور كرم - حيث يقطن الاستاذ بكير - كان العرض صباحيا فقط . فالاستاذ بكير مهنته العلاقات العامة ، وقد حصل فى هذا التخصص على مؤهلات كثيرة من جامعات بريطانيا وأمريكا ، وهو شخصية جذابة وناجحة ، يحظى بإعجاب سكان البناية جميعا ما عدا زوجته طبعاً ، فالزوجة عادة لاتبهر بما ينهر به الآخرون من زوجها ، ذلك أن كل زوج كالقمر ، ليس فى بهائه طبعاً ، ولكن فى أن له وجها وضيئاً يواجه الناس ، ووجها دائم الظلام يواجه الزوجة المسكينة ، فالعلاقات

العامّة - مثلاً - تحتم على الأستاذ بكير أن يكون الأظرف والأرق والألطف ، وأن يتسم وأن يجامل وأن يحل المشاكل في دبلوماسية وأن يتحمل في صبر وأناة سخافات الآخرين ، فإذا ما عاد إلى البيت أفرغ شحته العصبية المختزنة في زوجته الطيبة هدى التي اعتادت أن تتحمّله في صمت وصبر .

وأشهد أن الأستاذ بكير لم يكن - كمعظم رجال العلاقات العامّة - يرتدى قناعاً زائفاً من الحب والمودة للناس ، بل كان يحب الناس حبا حقيقياً .

ولقد رأيت بعيني ما الذي تكلفه له محبة الناس ! ففي كل صباح كنت أسمع زفرة متألّمة للأستاذ بكير يعقبها صوت شديد الحزن : لا حول ولا قوة إلا بالله . وتسأله هدى من بعيد : من ؟ ويرد بكير بصوت تخنقه الدموع : ماهر عباس . . البقية في حياتك .

ولم تكن هدى تتفسر عمن يكون ماهر عباس . فزوجها بصادق الدنيا كلها . كل ما كان يعنيه أن تهدىء من روعه وأن تخفف عنه . .

.. في الصباح التالي يترامى إلى سمعي صوت الأستاذ بكير مضجوعاً : غير معقول ! .. غير معقول !

وتسأله هدى : من ؟

ويرد بكير بأكي النبرات : مراد الكرواتي . . لا إله إلا الله . . يا حبيبي يا مراد . . يارب صبرك . . يارب صبرني . .

كنت أراجع صفحات الوفيات في الجريدة ، فيزداد إكباري للأستاذ بكير لأن المتوفى رجل بالمعاش ، لا سلطان له أوجه ، أو رجل عادي متواضع الأقارب ، فلا شبهة إذن في نفاق أو مدهانة

من جانب الأستاذ بكير ، وما من صباح يمر دون أن أسمع صيحة الفجيعة يطلقها هذا الرجل النادر في زماننا الصعب . والشيء المذهل أنه كان لا يعود من كل مأتم إلا في الواحدة صباحاً بعد أن ينفض الناس من سرادق العزاء ، وينوب عن أهل الفقيد في محاسبة محل الفراشة والقراء وغير ذلك . .

ليس هذا فحسب . . . فإني أذكر ذلك الصباح من شهر مايو عندما أطلق الأستاذ بكير صرخته اليومية المفجوعة ثم قال : ميرزا مات ؟؟ ياخير اسود ؟؟ ميرزا ؟؟ . . معقول ؟؟ استغفر الله العظيم .

وناشدته زوجته أن يرحم صحته من هذه الانفعالات بينما أمسك هو بسماعة التليفون وقد بدأ يعد ترتيبات سفره إلى لندن .

.. فتحت الصحيفة على صفحات الوفيات فوجدت أن المرحوم ميرزا فريدون قد توفي في لندن وسوف يدفن جثمانه هناك .

أينذهب إليه بكير في لندن ؟ أي رجل خرافي هذا الأستاذ بكير ؟ انه طراز عظيم ونادر من البشر تقلص وانقرض . .

سلمت عليه بحب وتقدير وهو يستعد للتحرك نحو المطار . وغاب في لندن اسبوعاً يودع ميرزا فريدون صديق العمر .

في شهر يولييه اكتشفت هدى أن بكير لم يكن يعرف واحداً من هؤلاء الموتى ، بل كان يزعم أنه ذاهب إلى المأتم الليلي ويقضى نصفاً من النهار ونصفاً من الليل عند الزوجة الجديدة !



هناك أقلية من الرجال يرون أن الزواج غير ممل ، وهناك الأغلبية !

غير أن هذه الأغلبية تتجاهل تماما الرد على سؤال وجيه يقول :
من الذى يزرع الممل فى بيت الزوجية ؟

طبعاً لا يمكن اتهام المرأة بأنها السبب ، فالمرأة محبة دائماً للجديد وللتجديد ، ديكور البيت يتغير من وقت لآخر ، والفستان دائماً جديد ، وتسريحة الشعر لا تستقر على شكل واحد ، والشعر نفسه لا يستقر على لون ، والماكياج إبهار مستمر : فالجفن مرة أزرق ومرة تركواز ، والشفاه تستعرض الأحمر بكل درجاته من الروز الخفيف إلى الأحمر الناري ، والحاجب مرة تخين ومرة فتلة ، ولا مانع - دفعا للملل - من أن تكون الموضة هي الظهور بحاجب واحد .

بل ان المرأة بعكس الرجل - تغير رأيها مائة مرة وتبدل كلماتها ألف مرة ، وهذا طبيعي لأن الإنسان يتطور في كل لحظة ويتطور مع تفكيره إلى الأحسن والأفضل ، بينما ثبات الرجل على الكلمة والرأي دليل على عدم التطور ومتهى الجمود .

وهذا الجمود يمتد عادة إلى كلام الزوج ، وتصرفات الزوج ، وحركات الزوج ، ومن المؤكد أن صديقنا « حسان » يمثل نموذجاً مكتملاً لما ينتهي إليه أمر معظم الأزواج ، ان تصرفاته اليومية يمكن معرفتها مقدماً منذ أن يدخل من باب البيت . فهو - مثلاً - إذا جلس إلى السفرة يأكل ، يمضغ اللقمة تسع مرات بالضبط ثم يبتلعها . وإذا سعل « سعلة » خفيفة فهذا معناه أنه سوف يمد يده إلى كوب الماء ليشرب وإذا ضرب حافة الطبق بالشوكة ضربة خفيفة فهذا تمهيداً لأن يقول : أين الفلفل الأسود ؟ وإذا تراجع في مقعده فهذا إيذان بأنه سيطلب طبقاً نظيفاً . . فإذا أشارت الساعة إلى السادسة وخمس دقائق وجدناه يعبر الممر إلى غرفة المعيشة وهو ينادى : القهوة ، وهو ليس في حاجة إلى هذا النداء ، ففي تلك اللحظة بالضبط يكون رضوان السفرجى متجهاً بالقهوة إلى غرفة المعيشة .

إن « حسان » إنسان آلى . مبرمج . لا جديد أبداً في تصرفاته اليومية . عندما يفتح الباب عائداً من العمل لا بد أن يقف للحظة في حلق الباب ، ثم يدخل ، ثم يستدير بجسمه كله ليغلق الباب ، ثم يستدير ليخطو خطوتين يتوقف بعدهما منادياً : رضوان . . . ورضوان أمامه فوراً : أقدم ؟ ويهز حسان رأسه دون أن يطلب إلى رضوان شيئاً . انه مجرد نداء روتيني يتكرر كل يوم ويأتى معه الخادم ثم يتصرف مع هزة الرأس . وما أن يعبر حسان الصالة حتى يفتح درج في نهايتها ، هذا الدرج حير زوجته كثيراً في البداية . لقد كانت تضع فيه بعض أدوات الخياطة . وكان حسان يمر بهذا الدرج كلما عاد من خارج البيت ، فيفتحه ويحمل في لبرهة ، ثم يغلقه ويمضى إلى الداخل ، وأفرغت الزوجة هذا الدرج من محتوياته ، لكن حسان استمر يفتحه كلما عاد إلى البيت . ثم بغير هذه العادة الحميدة يوماً .

وذات مرة ضبطت زوجته منحنية تتفحص الدرج الفارغ باهتمام شديد ، وظل يرقبها إلى أن صاح فيها : أريد أن أعرف ماذا تأملين في درج فارغ أيتها المجنونة ؟ . . . وعندما وجهت إليه نفس السؤال نهراً ، وحذرها من أن تكرر هذا السؤال مرة أخرى ، فاشتد فضولها لتعرف سر هذا الدرج ، وأصبحت تفتش جيوب حسان وهو مستغرق في النوم ، ليس بقصد الاختلاس كالعادة ، ولكن لأن إحساساً كان يراودها بأنها ستعثر على صورة للدرج من فرط اعتزازه به .

وعرضت الزوجة الدرج على الأهل والأصدقاء ، فلم يجدوا فيه ما يستحق النظر إليه ، وأكد لها شقيقها الأستاذ بمعهد الشواذ أن نظرة زوجها إلى الدرج لا تفسير لها إلا أن تكون مجرد عادة تمكنت

منه ويقوم بها بطريقة ميكانيكية ، فليس بين الإنسان والدرج أية علاقة تبعث على القلق ، ولا أية صلة من أي نوع ، خصوصاً أن الإنسان ليس أصله درجاً .

ولكن حسان بكل سوءاته ربما يكون أفضل بكثير من صديقنا عبد الله الذي ظل يحكى لزوجته منيرة نكتة واحدة لا تتغير لمدة ثلاثة شهور . لقد كان يوماً أغبر في حياة منيرة عندما قرأ عبد الله أن الزوج لا بد أن يسري عن زوجته خلال قيامها بأعمال البيت . ولقد بدأت المشكلة عندما عاد من عمله يوماً . . . فوجدتها منغمكة في إعداد الطعام والمائدة ، وهنا حكى لها نكتة عن أسرة أسرع بطفلها إلى عيادة الطبيب فلم يجدوا الطبيب وسألته الممرضة : ماذا بالطفل ؟ قالوا : ابتلع مفتاح باب الشقة ، فقالت الممرضة يهدوء تطمئنهم : الأمر لا يدعو إلى القلق ، فيمكنكم عمل مفتاح جديد لباب الشقة .

ولم يضحك عبد الله كعادته عندما يروى نكتة ، بينما التفتت منيرة نحوه تقول في اهتمام شديد : وكيف ابتلع الطفل المفتاح ، ورد عبد الله كان يلعب به طبعاً ، قالت منيرة بتأثر : مسكينة أمه . . . هكذا هم الأولاد دائماً . . . عذاب ووجع قلب . . .

يا إلهي !

وقدر عبد الله انصراف ذهن منيرة إلى هذا الاتجاه بحكم أمومتها .

بعد أيام كان عبد الله يجلس أمام التلفيزيون بينما هي ترفع الأطباق من فوق المائدة بعد العشاء . فحكى لها نكتة الممرضة والطفل ومفتاح الباب ، فقطبت منيرة ما بين حاجبيها وهي تنظر إليه في دهشة متسائلة : ما هي حكاية هؤلاء الأطفال الذين يتلعون المفاتيح ، ثم أردفت تقول : الحمد لله . . . الأولاد كبروا على ابتلاع المفاتيح .

وسكت عبد الله ، ولم يشأ أن يفقد عليها تلك الابتهالات التي راحت تتمتع بها ليحفظ الله الأولاد من كل سوء .

ومضت أيام أخرى قبل أن يحكى عبد الله نفس النكتة لمنيرة .. بينما هي مشغولة في كي ملابس الأولاد ، فالتفتت نحوه مرتاعة وهي تشفق : يا خبير ! هذا هو الحادث الثالث من حوادث ابتلاع الأطفال لمفاتيح الشقة .

في منزل صديقنا راضى ، شكوا الينا عبد الله ضياع جهوده الطيبة للترفيه عن زوجته ، وكيف أن زوجته تستقبل النكتة بجدية شديدة ، قال له راضى : ولماذا لا تكون أنت ثقيل الظل ؟

ولم يكن عبد الله كذلك ، لكنه لم يجد منا غير اللوم ، ونصحه راضى بأن يتعلم أولا كيف يروى النكتة للمرأة ، فهو أمر يختلف عن روايتها للرجل ، وأكد له أن زوجته منيرة معذورة ، فلو أنه روى نفس هذه النكتة لأية امرأة أخرى لما تغيرت النتيجة .

بالفعل . جاءت رشيدة زوجة راضى وحكى لها عبد الله نكتة الطفل والممرضة ومفتاح الشقة ، وعندما انتهى من النكتة قالت له رشيدة : والله أنك ابن حلال يا عبد الله .. ثم التفتت إلى راضى تقول : هذا المفتاح الذى ابتلعه الولد ذكرنى بشقتنا فى الاسكندرية .. متى ستسافر لتغير كالون الباب هناك قبل أن يسطر عليها اللصوص ؟

أحسن عبد الله بالقهر وهو يرى منيرة تضحك بشدة أمام التليفزيون ، قالتيميلية المعروضة سخيفة وليس فيها ما يضحك على

الإطلاق ، ولكن أحد الممثلين فيها قلد مواء القطة ، انفجرت منيرة ضاحكة .

هل هذا معقول ؟ منيرة تضحك على هذا السخف الرخيص ولا تضحك على نكتة الظريفة ؟ .. لقد تأكد له أن أسلوبه فى رواية النكتة جيد جدا . فما من زميل فى العمل حكى له نكتة الطفل والممرضة ومفتاح الشقة إلا وضحك من الأعماق .. فما بال منيرة لا تضحك ؟

نهضت منيرة من أمام التليفزيون ثم صعدت سلما متحركا وبدأت تعيد ترتيب « البلاكار » فى الممر . ورأى عبد الله أنها فى حالة نفسية طيبة وعندها استعداد للضحك فوقف يحكى لها نكتة الطفل والممرضة ومفتاح الشقة ، وقبل أن ينتهى منها قالت منيرة فى استنكار : والله أنا لم أر طيبيا فى استهتار هذا الطيب الذى لا يتواجد فى عيادته كلما ذهبوا إليه بطفل ابتلع مفناحا .

قلت لعبد الله : أنت تخطىء إذا تصورت أن المرأة لا تتمتع بروح الفكاهة والمرح .. غير صحيح . الصحيح أنك تختار أسوأ الأوقات لرواية النكتة وهو الوقت الذى تهتمك فيه مع شغل البيت . — ولكن مؤلف الكتاب ينصح بأن يقال لها النكتة أثناء انهماكها فى شغل البيت .

— هذا مؤلف لا يفهم المرأة .. المرأة عندما تواجه مسئولياتها فى البيت تنفرغ تماما لهذه المسئوليات الجدية ويصبح كل ما عداها فى هامش تفكيرها . انظر إلى رشيدة زوجة راضى وأنت تروى لها النكتة .. لقد تذكرت على الفور كالون باب شقتها فى الاسكندرية .. شدتها النكتة إلى مسئولياتها فلماذا لا تروى لزوجتك النكت بعيدا عن أعمال البيت ؟

— حدث ذلك أمس . قلت لها نكتة الطفل والمرضة ومفتاح الشقة .

— ولماذا لا تقول لها نكتة أخرى ؟

— أبدا . . أنا مصمم على أن أنجح في اضحاكها بهذه النكتة .
أولا . . هذا تحد . .

قال راضى لعبد الله : من عيوبك أنك تحكى النكتة دون أن تبسم . إحك النكتة يا أخى وأنت تضحك ، فالضحك معد .

كان الليل جميلا رقيق النسمة والسيارة تتهادى على كورنيش المعادى عندما انفجر عبد الله ضاحكا ، والتفت نحوه منيرة ضاحكة الوجه تسأل : ما الذى يضحكك ؟ . . وبدأ عبد الله يحكى لها نكتة الطفل والمرضة ومفتاح الشقة ، وقبل أن يكملها ، قاطعته منيرة معاتبه لأنه يضحك فى موقف مأسوى لطفل برىء يواجه الموت بعد ابتلاع المفتاح . ثم أردفت تقول : لقد زادت هذه الحوادث كثيرا .

فى التليفون ، كانت منيرة تحدث رشيدة عن حوادث ابتلاع الأطفال لمفاتيح الشقق . وقالت رشيدة إنها سمعت شيئا من هذا القليل لا تذكر أين ، وتعجبت منيرة من أهالى هؤلاء الأطفال الذين يرتكبون غلطتين رهيبتين . . أولا هما أن أسرة كل طفل من هؤلاء الضحايا لا تضع مفتاح الشقة فى سلسلة ، ولو كان المفتاح فى سلسلة لاستحال على الطفل ابتلاعه ، أما الغلطة الأخرى فهى أنهم يذهبون إلى طبيب مستهتر لا يتواجد فى عيادته معتمدا على الممرضة .

قالت رشيدة لراضى : هل سمعت عن حوادث ابتلاع الأطفال لمفاتيح الشقق ؟ . . ثم بدأت تقص عليه قصة كل طفل وكيف ذهب به أهله إلى طبيب متغيب عن عيادته باستمرار ، بينما الممرضة المستهتره تقول لكل أسرة : ولا يهتمكم . . نعمل مفتاح جديد للشقة !

نظر راضى إلى زوجته ، ثم لم يجد ذلك الخيث ما يقوله إلا أن هذه القصة من اختراع عبد الله ، فلا صحيفة اشارت إلى ذلك . ولا حتى إشاعة سرت بهذا المعنى .

عندما تكشف الأمور لمنيرة وتبين لها أن عبد الله كاذب ، حمدت الله لأن الأطفال بخير ولم يتعلموا مفاتيح الشقق ، لكنها لم تشأ - لفرط رقتها - أن تواجه عبد الله بأنه كذاب ، وفى ذات الوقت ، لم ييأس عبد الله من البحث عن الطريقة الصحيحة التى تحمل منيرة على الضحك عندما يروى لها نكتة الطفل والمرضة ومفتاح الشقة ، فقد تضخمت هذه المشكلة فى رأسه وأصبحت مسألة تحد وكبرياء ، ولا بد أن تضحك منيرة مهما طال الزمن .

لثلاثة شهور ظلت تسمع من عبد الله حكاية الطفل والمرضة ومفتاح الشقة دون أن تعلق . وأخيرا انتصر عبد الله واستجابت منيرة لنكتته ، فسقطت مصابة بالانهيار العصبي .



خلق الله الرجل على نقيض المرأة ، فخلق المرأة في منتهى الذكاء ! ولكي نقدر كم هي داهية الذكاء . علينا أن نتصور تلك اللحظات العصبية التي فوجئت فيها حواء بآدم أمامها بعد أن خرجت من ضلوعه . طبعا وجدت أمامها مخلوقا مخيف الشكل : جثة ضخمة وعضلات بارزة وشعرا أشعث ولحية كثة تحيط بالوجه وتدللى إلى الأرض !

إن هذا المنظر لو واجهه رجل في الخمس الأخير من القرن العشرين لشهر سدسه على الفور ، وأطلق عيارين في الهواء لارهاب هذا المخلوق المرعب ، ثم أدار قرص التليفون يطلب شرطة النجدة !

ولكن حواء واجهت هذا المنظر بثبات غريب وأعصاب تحسد عليها وهي تقف خلف شجرة ، ترقب آدام وقد رقد على الأرض إثر الإغماء التي راح فيها ، بعد أن خرجت من ضلعه وتركت ظهره ينزف دما !

وما لبث آدم أن بدأ يتحرك وهو بين النوم واليقظة . كان يئن متوجعا . وعندما استيقظ تماما كان أنينه قد تحول إلى زمجرة مرعبة : آه ظهري .. ضلوعي .. ظهري ..

ومد آدم يده إلى غصن شجرة متدل يحاول أن يمسك به لينهض ، وهناك شهقت حواء شهقة مكتومة وقد بدأت تدرك قوة هذا المخلوق الغريب والشجرة تميل مع قبضة يده ، غير أن آدم فشل في النهوض وقد اشتد الألم عليه ، ثم انتابته حيرة وهو يسائل نفسه : ماذا جرى بالضبط ؟ لماذا ينزف ظهري دما ؟ لماذا كانت الاغماءة ؟ ثم يفكر بصوت مرتفع : ماذا حدث لى ؟

هنا يأتيه صوت حواء ناعما رقيقا : لقد كنت في غيبوبة . وتلفت آدم حوله : من الذى يتكلم ؟
— أنا ؟

— من أنت ؟

— أنا حواء .

— حواء من ؟

وأقبلت حواء نحوه فى حذر وتوجس لتبدأ أولى وأسوأ لحظات

سوء التفاهم بين أول امرأة وأول رجل في الخليقة ، إذ بادرها آدم بقوله :

- ما هذا الذى أراه بيدك يقطر دما ؟
- هذه قطعة عظم يبدو أنها تخصك .
- قطعة عظم تخصنى ؟ أهو ضلعى ؟
- (باسمه) أجل .. يبدو أنه ضلعك .
- إذن فأنت التى حطمت عظامى .

وزمجر آدم . واختلطت أناته بالتهديد والوعيد ، ففرت حواء إلى بعيد وهي تعلن براءتها من كسر ضلعه . وحاول أن ينهض خلفها لكنه أخفق ، ويدت معالم القهر على وجه آدم وهي تعدو نحوه باسمه الوجه تقول : ما دمت تعجز عن النهوض فيمكننى أن اقترب منك بلا خوف . وزأر آدم :

— الويل لك ؟

وعلى مقربة منه جلست ، راحت تهمس إليه فى نبرة رقيقة أن يكف عن الغضب ، وأن يهدأ لكنه استمر بزمجر .

فجأة صرخت فيه حواء : اخرس وكف عن هذه التهديدات القارعة . من تظن نفسك ؟ .. وبينما آدم مشدوه أمام المفاجأة واصلت حواء وهي تلكزه فى كتفه لكزة خاطفة ، أنت لست إلا ثرثاراً مملاً يتشدد مغترا بقوة .

كان آدم لا يزال مبهوتا وحواء تلقى بأول أكذوبة ، فأوهمتها بأنها تملك قوى عضلية خارقة تفوق قوته بمراحل ، وقصت عليه كيف باغته من خلف ظهره وطرحته أرضا وأسلمته إلى غيبوبة حطمت خلالها ضلوعه ، ودلت على صدق دعواها بأن ضلعه كان فى يدها !

وتغيرت لهجة آدم . أصبح يخاطبها بأدب شديد ، ويسير خلفها منكس الرأس ، يسرع إليها عند أول نداء . ويستجيب إلى كل أمر ، واكتشفت حواء أن آدم وهو مجرد من استعمال عضلاته مخلوق لطيف المعشر ، فيه وداعة أخاذة وطيبة أيضا ! وبينما هو جالس بجوارها تحت الشجرة نظرت إليه مليا ثم قالت :

- صورتك وأنت قريب مختلفة تماما !
- وكيف تبدو صورتى من بعيد ؟
- وحش مفترس .
- وما الذى غير صورتى عن قرب ؟
- عيناك يا آدم .
- ماذا فى عينى ؟ !
- شيء ما يجتذبنى وارتاح إليه .

— لم لا تقول لى كلمة ؟

— أخشى لو تكلمت أن أخطيء فتؤذنى .. يكفى ضلع واحد .

ولكن أكذوبة حواء لم تعش طويلا ، ففيما هي تعبت بقدمها فى الماء عند الشاطئ اختل توازنها وسقطت فى النهر ، وقبل أن تطلق استغاثتها كان آدم يتشلها من الماء بين ذراعيه ، ورغم أنه ابتعد عن النهر كثيرا إلا أنها ظلت بين ذراعيه ، وارتاح هو إلى ذلك ، وارتاحت هي أكثر ورأسها يتوسد صدره .

— كم أنت جميلة لولا ..

— لولا . ؟

— أنا .. ؟؟

— تتزعجن ضلعا من ضلوعى ؟

وضحكت حواء . ضحكت كثيرا ، ثم قالت : هل صدقت أنني ذات قوى عضلية خارقة صرعتك ؟ ... ثم عادت تضحك وهي تروي القصة الحقيقية عندما فاجأته الغيوبة وخرجت هي من ضلعه إلى الحياة .

ما إن وقف آدم على تفاصيل القصة حتى انقلبت سحته وعلامته زئير الغضب ، وفي خفة ورشاقة قفزت حواء من أمامه ثم لاذت بالفرار .

اختفت تماما . وبحث عنها آدم دون جدوى في طول المكان وعرضه . وكانت هي ترقبه . بطرقها المختلفة . . . مرة تكتم ضحكة وهو ينطق باسمها ثم علت وجهه حيرة بلهاء ، ومرة يشير الرعب وهو يناديها في صيحة غضب .

كيف تواجه هذا الوحش ؟؟ وما السبيل إلى معايشته ؟

ذلك هو السؤال الذي خطر على فكرها عندما ضبطها آدم مخفية فوق شجرة توت . ولا أحد يعرف حتى الآن - إلا حواء نفسها - هل عثر آدم عليها بجهوده الشخصي فوق شجرة التوت ، أم هي التي تعمدت أن توقع بنفسها في شركه وتركه يعتقد أنه هو الذي عثر عليها وأوقع بها ؟

- حواء - سامحنى .
- آدم - لن أسامح كذابة .
- حواء - الكذب سلاح الضعفاء .
- آدم - لن أغفر لك .
- حواء - الأقوياء يتسامحون ياسيدي الثوى العظيم .
- آدم - انزلى وإلا صعدت إليك .
- حواء - كلا . لا تصعد . أخاف عليك .
- آدم - مم تخافين ؟

- حواء - أنني فوق فرع ناحل لا يكاد يحتملنى .
- آدم - تخافين على من السقوط !
- حواء - ولم لا ؟ . .
- آدم - كم أنت كذوب !
- حواء - ألم أخرج من ضلعك . ألسنت قطعة منك ؟ طبعى أن أحبك .

- آدم - نادراً ما أفهمك .
- حواء - أشرح لك : الحب إحساس يخلق فى الإنسان الخوف على انسان آخر . .
- آدم - كفى عن هذه الثثرة وانزلى وإلا صعدت إليك .
- حواء - كلا لا تصعد . سوف أنزل .

وتبدأ حواء فى النزول وهي تبكى ، ويأمرها بأن تحتضن شجرة مجاورة ليوثق يديها .

- آدم - سأعطيك درسا لن تنسبه .
- حواء - إنى راضية .
- آدم - سوف أوثق يديك .
- حواء - وسوف يسعدنى ذلك .
- آدم - يسعدك ؟
- حواء - لمسة يدك وأنت تشد وثاقى سوف تشعرنى بالطمأنينة .
- آدم - بودى لو أفهمك !
- حواء - لا يعينى أن توثقنى - كل ما يعينى أن أشعر أنى فى حماك أيها السيد القوى المهاب !
- آدم - هل تربتنى قويا ؟ (ثم مستدركا) على أى حال لا يهمنى رأيك .
- حواء - بل يجب أن يفهمك .
- آدم - ولماذا يجب ؟

حواء - لأننى أنا التى سوف ترى نفسك فيها إلى الأبد .
آدم - ماذا تعنين ؟
حواء - أنا نصفك الآخر .. أنا وأنت واحد صحيح يكمل كل منا الآخر .
آدم - أنا واحد صحيح قبل أن تأتى أنت .. وأنا واحد صحيح بعد أن أتيت أنت .
حواء - صدقت ياسيدى .. بدونك أنا لست إلا نصف مخلوق ضائع .

آدم - يرونى خضوعك لمشيتتى بالقوة .
حواء - بالحب .
آدم - بالقوة .
حواء - الحب أقوى من كل قوة .
آدم - ولكن الحب جاءك من إعجابك بقوتى .
حواء - الحب لا يأتى إلى قلب إنسان لأنه معجب بإنسان آخر .
آدم : كيف يأتى الحب إذن ؟ !
حواء : الحب يأتى إلى قلب إنسان .. لأن إنسانا آخر اهتم به .

آدم - ولكنى لا أهتم بك .
حواء - بل انقذتنى عندما سقطت فى النهر .. كنت حريصا على وجودى بجوارك .
آدم : لا لسوء الحظ .
حواء - اننى بجوارك ؟
آدم - أتحدث عن هذا النبات اللينى .. إنه لا يصلح لشد وثاق يديك مع إنى صنعت منه سوطا لأضربك به .

وتلفت آدم حوله فلمح الكثير من الألياف التى تصلح لعمل جدائل ، واستمهل حواء لحظة بعد أن توعدا بالويل إن هـي

حاولت الفرار ، وابتعد آدم ليعبر فوق الكمين الذى فرشته حواء بأوراق الموز ، ثم سقط آدم فى الجب الذى حفرته خلال هروبها منه .

وتقبل حواء نحو الجب تظل على آدم وقد تصنعت الهلع .
— آدم .. ما الذى جرى لك يا حبيبى ؟
— كما ترى ..
— لا عليك .. سأنقذك حالا .

وبسرعة جذلت له حواء سلما ألقت به إليه حتى استطاع آدم أن يخرج بسلام .
آدم - ظهري .. آه .. عاد الألم إلى ظهري .
وتحت شجرة جلست حواء وقد توسد آدم ركبتيها ، بأناملها الرقيقة تضمد جراحه ، وتمسحها ، وبكل الحنان تدلك عضلات ظهره ، ويخفت أنين آدم . وبين اليقظة والنوم تسأله :
— هل أجمع لك بعض الألياف لتوثق يدي .
ويأتى صوته :
— لا لا لا .. لا داعى لذلك .

وترفع السوط المجدول الذى أعده لضربها وتسأله : هل أنت فى حاجة إلى هذا الشيء لكى ..
ويقاطعها : لا لا لا .. إلقى به بعيدا وهات يدك فى يدي .. وتعطيه يدها ويستغرق فى نوم طفل .
وفى تلك اللحظة كانت حواء تسجل اختراع أول لعبة فى تاريخ البشرية وهى لعبة مصارعة الثيران حيث يواجه الإنسان عضلات الثور بالذكاء الإنسانى .

ولكن حواء كانت أرحم من « الميتادور » عندما نام آدم على ركبتيها فلم تغرس السكين فى يافوخه !

أرفع رأسك
يا حبيبي !

من الحماسة أن أعترض على ما تدعيه زوجتي بشأنى ، فماذا
يضيرنى إن ادعت زوجتى إننى كنت أول دفعتى فى التخرج ؟ . .
وإذا جاء ذكر الشمس روت عن بطولاتى السابقة التى لا أعرف عنها
شيئا ، وعند الحديث عن الشطرنج فأنا اللاعب الذى لا يفهر ، وفى
معرض الكلام عن أناقة الرجال تقول زوجتى إننى أصنع بدلى
" تفصيلا ، عند أنريكو فى روما " لست أدري من أين أنت بهذا
الاسم ، ترزى جريجورى بيك وانتونى كوين والملك امبرتو
" لا أعرف ملكا بهذا الاسم) .

على أية حال : مثل هذه الزوجة المحبة من السخف طبعا أن أراجعها فيما تذهب إليه من روايات لا تستهدف منها إلا أن تزهوى وتفخر ، وترفع رأسى عاليا أمام الأهل والأصدقاء .

وبالأمس عرفت أن فى القاهرة مطعما فاخرا اسمه بومبى ، فقد سمعت زوجتى فى الغرفة المجاورة تحكى لصديقة فى التليفون : تصورى .. لقد فوجئت بزوجى يتصل بى فى الواحدة ظهرا بأنه قادم ومعه صديق عزيز لم يره من أيام الجامعة ليتناول الغداء معنا .. أجل يا عزيزتى .. إنها عادة قبيحة فى هؤلاء الأزواج الملاحين الذين لا يقدرّون مثل هذه المواقف الدقيقة .. المهم .. كان المستحيل احراج أى خروف من الـ « ديب فريرز » فالوقت ضيق .. ماذا تظنين أنى قد فعلت ؟؟ .. وحياتك اقترحت على زوجى أن يدعو ضيفه إلى مطعم بومبى ثم الحق أنا بهما هناك .. طبعا طبعا .. أعرف أن الأسعار فلكية فى مطعم بومبى ، فقد ترددنا عليه كثيرا من قبل .

استمرت زوجتى تروى بالتفصيل ماذا أكلنا فى مطعم بومبى ، وإذا كانت زوجتى تتمتع بذاكرة جيدة ، فإننى لا أذكر مطلقا أننى ذهبت إلى مطعم بومبى ، لا أمس ولا أمس الأول ، ولا أى يوم . غير أننى كنت أستمع إلى حديث زوجتى هذا بلا أية دهشة ، فلقد روضت مراكز الدهشة فى مخى على مواجهة مثل هذه المواقف ، ثم اننى أعرف أن محتويات الـ « ديب فريرز » فى بيتنا عبارة عن أجسام مجمدة ومجهولة الهوية لأنها محاطة بالصقيع الكثيف ، ولقد بذلت جهدا مضنيا خلاا، سفر زوجتى لأصل إلى هوية هذه الأجسام ، فتبين أنها جذوع أشجار وضعتها زوجتى للزعم بأنها لحوم وخراف أمام من يفتح الفريرز من الأهل والأقارب .

ومع ذلك ، فمن التجنى أن تقول أن القصة التي روتها زوجتي هي كذب على طول الخط . لقد حدث بالفعل أنني اتصلت بها في التليفون وقلت إن صديقا قديما لي سيكون معنا على الغداء ، فلما ثارت قلت لها معذرا : اننى أعرف أنني أضعتك في ظروف بالغة السوء كربة بيت ، ولقد دعوت صديقي هذا ليتناول الغداء وما تصورت أنه سوف يلبي الدعوة على الفور ، فعلينا أن نواجه هذا الأمر الواقع مهما كانت المتاعب .

في البيت ، انتحت بي زوجتي لتكشف بشكل دراماتيكي عن الحقيقة : ليس هناك سوى خمس شرائح متوسطة من اللحم ، وأن الوقت سيطول حتى يمكنها طهو اللحم المتجمد الذي أخرجه من الثلاجة ، ولكنها ستحاول أن تعوض فقر المائدة بأطباق السلطة . ثم ارتفع صوت زوجتي بتحذير حاد النبرة ألا أدعو الضيف إلى أكل المزيد من اللحم بعد الشريحتين اللتين ستضعهما في طبقه ، حتى يكفينا الطعام جميعا .

ساءنى كثيراً أن الضيف التهم الشريحتين بسرعة مذهلة ، فهو من ذلك النوع الذى لا يضيع الوقت فى مضغ الطعام ، ووجدت نفسى أدعوه إلى شريحة ثالثة ، فتردد فى قبولها ، ثم أعاد يدي بها ، والاحت عليه بينما هو يرفض معذرا وقد احمر وجهه خجلا أو ارتياكا .

ولا متنى زوجتي - بعد انصرافه - لائى كنت الح عليه لياكل نصيب زوجتي من اللحم ، وحتى لا أدخل معها فى نقاش عقيم قلت لها : لا تؤاخذينى فقد نسيت تحذيرك . قالت زوجتي : كيف نسيت وأنا طول الحاحك عليه أركلك فى ساقل تحت المائدة ؟

وعرفت لماذا ارتبك الضيف ، فلم تكن زوجتي تركلنى أنا .

هذه القصة تحولت فى قم زوجتي إلى دعوة للغداء فى مطعم بومبى الفاخر ، وحت - بفضلها - من التفاصيل المشرفة ما يعزى من وقائع مؤسفة كضرب الضيف فى ساقه .



عندما قالت زوجتي - ضمن الكثير الذى تقوله - أن لى رصيذا كبيرا فى المصارف ، لم أكن أعرف أن صداقتى لشقيقها شوقى سوف تتعرض لمحنة قاسية ، إذ جاءنى شوقى وقد قرر أن يطلق زوجته سلمى ، وسألنى أن أقرضه من « أموالى » لكى يدفع مؤخر الصداق ونفقة سنة .

كان من السخف أن أقول له ليس لى من مال فى هذه الدنيا إلا مرتبى ، فلكنم أفاضت زوجتي فى الأحاديث أمامه عما لى من أرصدة فى البنوك ، بينما أنا أجلس صامتا أستمع إلى ما ترويه زوجتي دون اعتراض .

كانت البداية الأولى للتخلص من المازق هي أن ائنى شوقى عن فكرة الطلاق ، فأهبت به أن يتعد عن الشيطان ويعود بربه من أبغض الحلال عند الله ، وقلت له إن الإنسان لو فكر تفكيراً سليماً فلا يمكن أبداً أن يقدم على الطلاق .

قال شوقى فى هدوء - وهو دائماً هادئ - إن الإنسان لو فكر تفكيراً سليماً فلا يمكن أبداً أن يقدم على الزواج .

ثم أردف يقول بنفس الهدوء : لقد قال لى ابننا الصغير مجدى ذات مرة : كيف تزوجت أمى يا أبى ؟

قلت لشوقى : وماذا فى هذا السؤال البريء من جانب الطفل ؟ قال شوقى : حتى الولد الصغير تعجب لبلاهتى . كيف تزوجتها !

طالت المناقشة مع شوقي ووضح أنه مصمم على الطلاق ، وفي
غرفة أخرى همست لزوجتي إنني يجب أن أقول لشوقي الحقيقة ،
وهي أنني لا أملك درهما في أي مصرف ، غير أن زوجتي ضربت
صدرها بيدها وهي تشهق : يا للفضيحة ! أتريد أن تكذبي بين
أهلي ؟ .. أتريد أن يعرفوا أنني قد تزوجت رجلا بلا قيمة ..
أفصد ...

هدأت من روع زوجتي حتى أنقذها من الحرج بعد أن أفصحت
لي عن حقيقتي ، وما أن هدأت حتى أخذت تربت على ظهري
حتى لا أفرع من ثروتي الوهمية ، وتعهدت بأن تقنع أخاها باستحالة
الاقتراض من أموالنا في البنوك والمهم - كما قالت - أن أتوجه
بسرعة إلى سلمي زوجة شقيقها ، وأقنعها بأن تبادره بالصلح .

أمضيت ساعتين مع سلمي دون أن أنطق حرفا ، فقد كان من
المستحيل مقاطعتها في الحديث ، وعدت لأجد زوجتي قد تصرفت
بذكاء نادر ، إذ قالت لشقيقها إن أموالنا المودعة في البنوك قد
اتخذنا - من زمن - الاجراءات لنجميدها من أجل مستقبل الأولاد ،
فلا نستطيع أن نصرف منها قرشا واحدا ، لكننا نستطيع فقط أن
نودع ونضيف إليها .

بعد يومين زارني شوقي في مكنتي وقال لي : لقد التقيت بمدير
البنك ، وشرحت له حاجتك إلى سحب مبالغ من رصيدك
المجمد ، فأبدي الرجل روحا طيبة لأنه صديق قديم لي ، وأرشدني
إلى الاجراءات الواجب اتخاذها وهي سهلة وميسورة .

تقاعست في كتابة الطلب الذي سألني شوقي أن أكتبه للبنك ،
واعترضت في النهاية بأن زوجتي - بصراحة - لا تسمح بذلك .
ورمقني شوقي بنظرة صامتة طويلة ثم قال يهدوئه المعهود : أنت
نذل . وانصرف .

كان صوت زوجتي يزهو بنبرة فخر وهي تعدد مصادر دخلي
وثروتي ، وظللت أستمع ساعتين كاملتين إلى زوجتي وقد تجاوزت
في رواياتها كل الحدود ، حتى وجدتني أصرخ بصوت اليم ..
كفى !

ومد الرجل يده وأوقف المسجل الذي يتضمن اعترافات
زوجتي ، وأمضيت الليلة الثانية في السجن بتهمة التهرب من
الضرائب .

برجك
يا رومي !

فجأة ، أعلنت خطيبي موسم قطع العلاقات بيني وبينها
بلا سبب ، وبعد ليل من السهد والفضى عرفت السبب .

فقد قرأت خطيتي في الصحيفة اليومية باب حظك مع النجوم الذي يكتبه الدكتور بهنوش الفلكي ، وجاء تحت مواليد برج العقرب - برجها - « شخص يتظاهر بإبداء العواطف المشبوبة تحوكم فلا تنخدع وكن حذرا دائما من مواليد برج الثور » .

وسميت لدى الفلكيين من المنجمين لكي أثبت أن مواليد الثاني والعشرين من شهر مايو ينتمون إلى برج الجوزاء وليس إلى برج الثور ، فانقسم الفلكيون بشأن جنسيتي البرجية ، وأشار صديق بأن أحصل على شهادة موقعة من الدكتور بهنوش نفسه بأنني من مواليد برج الجوزاء ، ولكن بهنوش أصر على أنني من مواليد برج الثور ، غير أنه أعاد حساباته الفلكية بدقة ، فوجد أنني جوزائي البرج ، وذلك عندما وضعت في يده خمسة جنهات .

وأرسلت الشهادة إلى سوسن وعليها رقم تليفونه وموقعة بامضائه ، وفي اليوم التالي قرأت خطيتي في باب حظك مع النجوم : « محاولات فاشلة من مواليد برج الثور لتضليلك وإقناعك بغير الحقيقة » .

ولست في حاجة إلى وصف ما آل إليه حالي ، فقد أحيت سوسن حيا جنونيا ، وكان هذا طبعيا ومنطقيا لأنها لم تصبح زوجتي بعد .

في مبنى الجريدة وقفت أصبح مطالبا برؤية ذلك الفلكي الملعون الذي غير مسار النجوم والكواكب بخمسة جنهات ، وهدأوا من ثورتني ثم قادوني إلى الأستاذ محرم ، وهو شاب مهذب أحسن استقبالي ، وعرفت منه أن الدكتور بهنوش يسبب لهم المتاعب مع القراء ، فالفكرة من باب البخت هو أن يتفاهل القارئ بكلمات طيبة عن يومه الجديد ، لكن الدكتور بهنوش رجل غريب الأطوار معكوس التفكير ، فهو يندر كل عاشق بمصيبة في الطريق ، بينما يشر كل متزوج بيوم سعيد .

وقال لى الأستاذ محرم : إنه يحذف الكثير مما يكتبه هذا البهنوش ، ويجهل فى أن تكون النجوم على هوى الناس ، لا أن يكون الناس على هوى النجوم ، ورغم أن العشاق غالبا ما يبدون حمقى فى القول والفعل ، إلا أن الأستاذ محرم لم يشعرنى بحماقتى ، فقد استمع منى باهتمام الى تفاصيل صغيرة وشئون نافية ، ثم عبر بتعاطف شديد عن ادراكه لحجم محتوى العاطفية ، وانتهى هذا التعاطف من جانبه إلى أنه كتب لسوسن فى باب حظك مع النجوم : « أنت محظوظ لأن هناك إنسانا من برج الجوزاء يحبك حبا عظيما ، فلا تجرح مشاعره وأقبل هديته بقلب ممتن » .

ذهبت إلى سوسن فى نفس اليوم . وعندما قدمت إليها السوار الذهبى - هدية الصلح - حفلت به كثيرا ، فهذه الهدية التى هى جزء من نبوءة اليوم تثبت صحة النبوءة كلها من أننى جوزائى ولست ثورا ، وأننى أحب سوسن حبا عظيما .

وعندما نظرت إلى سوسن بعينيها الصافيتين رأيت فيهما الحب يخاطبنى . لقد كانت نظرتها مزيجا من الامتنان والاعتذار ، وأدركت لحظتها أن الأستاذ محرم قد أصبح من أهم ضرورات حياتى . إن هذا الشاب المهدب الفاهم - بما أصبح يكتبه من أجلى فى باب البخت - تحول بالنسبة لى إلى خير مفرقات يطل مفعول القنبلة قبل انفجارها . أو هو ماصة صواعق كالتى ترتفع فوق البنائيات لتجذب الصاعقة وتفسد أثرها ، أما الباب نفسه - حظك مع النجوم - فقد صار أشبه بريموت كونترول ، يوجه تصرفات سوسن عن بعد كما أبتغى وأريد .

ويبغى أن أعترف أن الصداقة التى جمعت بينى وبين الأستاذ محرم أحالت أيامى مع سوسن إلى شهد وعسل ، وفى الأيام التى كان يسافر فيها محرم إلى الخارج كنت أصبح تحت رحمة ما يكتبه الدكتور بهنوش فى برج سوسن .

وعندما كتب ذات مرة فى برجها : « خسارة مادية فى محيط الأسرة » . نشطت فى رأسى أفكار ميكيا فيلية منحة لا تبالي بسفالة الوسيلة للوصول إلى الغاية ، ففكرت فى أن أهشم زجاج سيارة والدها حتى لا تهتز ثقة سوسن بالنجوم التى تسيطر حينا وهوانا ، ولو كنت أعرف النشل لسرقت محفظته ، وطاف برأسى من هذه الأفكار كل ما يطوف برؤوس اللصوص والمخربين وذوى العاهات العقلية ، ثم جاءت المصادفة الجميلة ، فاعتبرت سوسن أن النبوءة قد تحققت وأن الخسارة المادية قد وقعت فى محيط الأسرة عندما اكتشفت أن العتة أكلت المايوه البكىنى ، وكانت فرحتى مضاعفة بخبر هذا المايوه الذى كنت أبغضه لصغر حجمه ، الأمر الذى يؤكد أن العتة التى أكلته كانت عاملة ربيعيم .

ولقد مضى كل شىء كما أرجو وأتمنى لولا أن سوسن التى باتت مجنونة بكتب النجوم والأبراج وقع فى يدها كتاب يؤكد أننى من مواليد برج الثور ، فقد اتصلت بى تليفونيا قبل منتصف الليل وقالت ان من بين الصفات التشرىحية التى ذكرها الكتاب ما ينطبق على شخصى ، فأنا قدمى كبيرة ، وخلف رقبتى شامة ، وعندى بعض التخلف العقلى .

ولأننى أدرك بشاعة الانتماء إلى برج الثور عند سوسن ، فقد هونت عليها الأمر ضاحكا ، وذكرت لها بشهادة الدكتور بهنوش التى تشهد أننى جوزائى ، ولكنها أغلقت السماعة فى وجهى ، وعادبت الاتصال بها فرفعت سماعة التليفون .

ضغطت الجرس ، وبعد قليل فتح لى والدها الباب وهو بملابس النوم يفتح عينيه بصعوبة ، يبدو أن الليل كان قد جاوز المنتصف . خطوط لى الداخلة بينما وقف الرجل متوجس الملامح :
— خير يا ولدى؟؟

قلت له والانفعال يملككني : يا عمى لابد أن تعرف سوسن اننى
لست من مواليد برج الثور .. انظر إلى قدمي يا عمى .. مقاس
قدمي واحد وأربعون يا عمى .. انظر إلى خذائي .. هل تراه قاربا
أم خذاء .. غير صحيح أن قدمي كبيرة يا عمى .. ثم هل ترى في
قفاي شامة ؟ ! كنت قد اقتربت منه وكشفت له قفای متسائلا :
هل تسمى هذه النقطة كراوس الدبوس شامة ؟ !
تمتم الرجل : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فواصلت متسائلا : هل ترانى يا عمى مصابا بالتخلف العقلى ؟
فعاد يتمتم : لا حول ولا قوة إلا بالله .
ودعنى الرجل وهو يدفعنى برفق إلى الباب ويعدنى بأنه سوف
يبلغ سوسن أننى لست من مواليد برج الثور وأننى غير متخلف
عقليا ، وقدمي صغيرة ، وليس في قفای شامة .

مرة أخرى أدين بالفضل لصديقي الأستاذ محرم ، فقد التقى
بسوسن كمجرد صديق لي ، وجلب لها كتابات الفلكيين ليثبت لها
بالدليل المادى أنهم لا يستقرون على صفات ثابتة لمواليد كل برج ،
فبينما يقول كتاب لأحدهم إن مواليد برج القوس لهم أنف روماني ،
يقول كتاب آخر إن مواليد برج القوس لهم أنف أفطس ، وبينما
يقول فلكي إن مواليد برج الميزان مبتهجون على الدوام ، يقول
آخر إن مواليد برج الحمل متزوجون على الدوام .

ولانت سوسن واستسلمت ، غير أن مفاجأة حدثت فقد أصر
والدها على فسخ الخطبة لأننى متخلف عقليا . لقد أعرب الرجل
عن أسفه الشديد لأنه كبح جماح يده ومنعها من أن تمتد إلى
قفای .. وأنا أدعوه إلى فحص الشامة خلف رقبتى في الساعة
الواحدة صباحا .

ولست أدري ما الذى جعل والد سوسن من ذوى الاحتمامات
الفلكية ، إذ أقسم أمام العجالين أننى من مواليد برج الثور ، وأننى
كذاب ومخادع وضعيف العقل ، وأنه سوف يسأل - إذا أصرت
سوسن على الزواج منى - إذا كان من الممكن التفريق بينى وبينها
لعدم التكافؤ بين برج العقرب الشريف وبرج الثور الخبيث .

وقد كان الأستاذ محرم ليقا كعادته في ذلك المجلس وهو يتصدى
للدفاع عنى شارحا جنون المحبين ، فكلما زاد الحب في القلب
طغت اللوثة على العقل ، وأن الحماسة طرطور مضحك على رؤوس
العشاق لا يراه إلا العقلاء !

عاد باب حظك مع النجوم يقوم بمهمة توجيه سوسن عن بعد ،
وهنأت أيامي . وكلما رقت حبيبتي أشدت ضعفى حيالها ، وتروى
لى سوسن عن خلافها مع والدها ودفعها لدعواه بأننى متخلف
عقليا ، فأترجم عرفانى بجميلها بأن أرفع سماعة التليفون ليكتب
الأستاذ محرم في باب البخت :

— هدية ثمينة من الإنسان الذى يعطيك الحب بسخاء .
— هدية ثمينة من الإنسان الذى لن تعوضى حبه .
— هدية ثمينة من الإنسان الوحيد الذى لا يتردد فى أن يقتديك
بروحه .

وتوالت هدايا من الماس والذهب والأحجار الكريمة ، ولم يكن
يعيننى أن تقتطع هذه الهدايا جانبا من ميراثى ، لكن هذا لم يرض
صديقى الأستاذ محرم الذى رأى أننى أبدد ثروتى فيما لا يجدى ،
وكان ينبغى أن أفكر فى مستقبلى مع سوسن بأعداد الممكن
المناسب لها وتأثبه بأفخر الأثاث .

حقاً لقد غاب هذا كله عن فكري في غمرة اندفاعي العاطفي .
وانقطعت هداياي . لكن انقطاع الهدايا عن سوسن سوف تعوضه
المفاجأة الكبرى السعيدة التي أعدتها لها . وعندما أتممت
اجراءات تسجيل الشقة الفاخرة المطلة على النيل باسم سوسن ،
كانت سعادة سوسن لا توصف وهي تقيم فيما بعد أن تزوجت من
الأستاذ محرم .



في أمسيات الصيف كانت تجمعنا حديقة النادي ، واعتدنا أن
نستمع بين حين وآخر إلى ما يعانيه صديقنا رياض من متاعب
زوجية ، فرغم أنه محب لزوجته وينشد معها حيلة هادئة إلا أنه
يفتقد اللباقة والكلمة الطيبة ، فهو عندما ذهب بصحبته إلى حفل
خيرى تقدمت نحوه فتاة صغيرة تمسك بوردة وقالت له : اشتر وردة
لهذه السيدة التي تحبها ، فقال ببراءة : كلا هذه زوجتي .

وعندما أبدت زوجته رغبتها في اقتناء قطعة سيامية قال لها - وهو صادق - هل تعرفين أنني أيام كنت متعلقاً بك قبل الخطبة كنت شديد التعلق بالمعيز ؟ وعندما سألته مرة عن نتيجة الريبجيم القاسى الذى اتبعته قال لها بحسن نية أن الشيء الوحيد الذى «رفع» فيها هو صوتها .

وعندما وجهتا إليه النصيح بأن يقول لزوجته كلمة طيبة إذا ارتدت فستاناً جديداً أو عادت من عند الحلاق أو طهت له طعاماً ، نفذ النصيحة فى اليوم التالى ، فقد اسهب فى امتداح طهوها مؤكداً انه لم يذق طعام مثل هذا السمك فى حياته . واتضح انها اشترت الوجبة جاهزة من السوق .

ولقد كان رياض هدفاً لنصائح مضادة من الاستاذ سيف الدين ، وهو رجل على مشارف الخمسين ، جذاب الحديث ، فنصح رياض بأن يعامل زوجته بقوة وخشونة كما اعتاد هو أن يعامل دوراً شريكة حياته ، فالنساء لا يعرفن غير لغة القوة ، ولا بد للرجل أن يعيد سلطانه القديم المفقود .

وأحدثت نصيحة سيف الدين لرياض أثراً ملموساً شاهدناه بأنفسنا حول عينه اليسرى مع خدش فى انفه ، ولم يكن رياض هو الضحية الأولى ، فإن بعض الذين كانوا يشاركوننا أمسيات الصيف استهواهم مذهب سيف الدين فى معاملة دوراً ، فتعرضوا لمتاعب شديدة كان من بينها التردد على محاكم الأحوال الشخصية .

ولقد حاول الدكتور عقيل أن ينصح سيف الدين بأن عقارب الساعة لا تعود إلى الوراء ، وأن عصر جدنا وجدتنا طواه الزمان . كانت جدتنا تغفر لرجلها كل أخطائه المقصودة وغير المقصودة ، وكانت تصدع لأوامره بلا نقاش .

وروى الدكتور عقيل أن جده كان يحكى لجده كم هو مجنون بها فى البقطة وفى المنام ، فلما قالت له الجدة انها سمعته يلفظ فى نومه باسم فاطمة وليس باسمها « وجدان » قال لها ألا تعرفين أننى أناديك فى منامى باسم فاطمة ؟ وقد سعدت الجدة وجدان كثيرا بذلك وقالت له بعد أيام : ليلة أمس عرفت أنك تنادينى فى منامك باسم زينب أيضا !

هنا صاحب سيف الدين : أرايت ؟؟ كانوا رجالا بحق . ثم مضى يروى أن جده استيقظ ذات صباح ليجد ان زوجته جثة هامدة بجواره فنهض من الفراش بهدوء ونبه على الخادم أن يكون الفطور بيضة واحدة بدلا من بيضتين كالعادة ، وبعد أن تناول فطوره بدأ يبكى المرحومة ، وقد علل تصرفه بعد ذلك بأنه كان ينبغى أن يتناول فطوره أولا حتى تكون لديه القوة على البكاء .

واختلفت التعليقات حول هذه القصة ، فأشاد رياض بمتانة أعصاب الجد ورباطة جأشه ، وحمد له الدكتور عقيل أنه أنتوى البكاء على المرحومة واستعد لذلك فتزود بالطعام والطاقة ، وقال المستشار أبو النور أنه كان بخيلا ، ودفع سيف الدين عن جده تهمة البخل والتخلص من زوجته توفيراً للنفقات والبيض ، فقال إن جده كان ينحر الذبائح ويوزع العطايا بسخاء على روح المرحومة . وعقب المستشار أبو النور قائلا : إن الذبائح والعطايا هى من سمات المناسبات السعيدة أيضا .

لأول مرت تكلم يوسف وهو ضيف عابر جاء مع الدكتور عقيل وكنا نراه لأول مرة ، فسأل سيف الدين ان كانت قصة جده حقيقية . — قال سيف الدين : طبعا حقيقية .

— استيقظ فوجد جدتك جثة هامدة ثم
وقاطعه سيف الدين : لم تكن جدتي .. كانت الزوجة الرابعة .

— بعد وفاة جدتك ؟

— ووفاة الثانية والثالثة .. ولقد كان جدى ينوى الزواج من الخامسة لولا حادث مفاجئ وقع له هو الوفاة .

— عاد الحديث مرة أخرى عن عصر سيطرة الرجل على الحريم وكيف كان الزوج يخيف زوجته بشوارب يقف عليها الصقر .

— قال عقيل : كانت الشوارب التى يقف عليها الصقر رمزا للقوة لكنها لم تعد كذلك عندما اكتشفت المرأة فى العصر الحديث أن الصرصور أيضا له شوارب .

قال يوسف - الضيف العابر - هل كان أنف جدك أحذب ؟ .. هل كان كثيف الحاجبين ؟ .. هل .. هل ...

أدهشنا كثيرا أن سيف الدين أجاب على معظم الأسئلة بالإيجاب وهو مأخوذ .

قال عقيل : ان يوسف ضليع فى علم الفراسة . انه مولع بدراسة الوجوه ، وله تجارب كثيرة فى معرفة خفايا الإنسان من ملامح وجهه وصفاته الجسمانية ، بل هو أيضا يمتلك القدرة على قراءة الأفكار ولهذا فإن زوجته محرومة من النعمة التى تتمتع بها كل زوجة وهى أن تلعن زوجها فى سرها .

ضحكنا ، لكن سيف الدين كان جاد الملامح وهو يسأل يوسف : وماذا ترى من صفات جدى وملامحه .

قال يوسف ضاحكا : معبود نساء يا سيدى .

طرب سيف الدين طربا شديدا وهو يقول : لا شك فى ذلك ، فقد كان خشنا وقويا وفظا .

— قال المستشار أبو النور : فظا ؟؟

وأكد سيد الدين : فظا .. فالمرأة تحترم الرجل الخشن القوى

القادر على حمايتها . لقد كانت الشوارب من لوازم هذا المظهر ،
والكرباج أيضا .

قال الدكتور عقيل : لاتنس أن أيام جذك عشقت المرأة أيضا
موضة رودلف فالتينو ، وهو نموذج للرجل الرومانسى الشاعرى
الذى يعامل المرأة فى رقة بالغة وحنان بلا حدود .

قال سيف الدين : ان المرأة قد تميل حيناً إلى الرومانسية لكنها
لا تستطيع أن تحتل كل الوقت رجلاً ناعم المعاملة ، تقاطيع وجهه
جميلة ذات طابع نسائي مثل رودلف فالتينو ، فهي تحن فى معظم
الأحيان إلى رجل خشن الوجه والصوت والمعاملة ، ولهذا ماتت
موضة رودلف فالتينو بموته ، وظهر كلارك جيبيل يعلن العودة إلى
الأصل .

كان سيف الدين - رغم حركاته العصبية - شديد الاقتناع ،
فاكتسح كل مناقشيه ، وخيل لبعضهم - لفرط الاقتناع - أن يشتري
قبل عودته إلى البيت كرباجاً لزوجته !

فى اليوم التالى جاء اليها الدكتور عقيل بخبر غريب ، قال ان
صديقه يوسف الضليع فى الفراسة اضطر أن يقول لسيف الدين إن
جده معبود نساء ، لأنه خجل من أن يقول أن ملامح الجد تؤكد انه
سفاح نساء ، وانه تخلص من زوجاته بطريقة غامضة ولثيمة ، ولو
كانت خادمة الجد على قيد الحياة لشهدت بأن مخدومها طلب
اليها - أربع مرات فى حياته - أن يكون الافطار بيضة واحدة بدلا من
بيضيتين !

وأكد يوسف أن سيف الدين - رجل مخبول ومختل وأنه - مثل
جده - لديه استعداد طيب للاقدام على مذبحه نسائية ، وأن هناك
خطرا حقيقيا على دورا زوجته .

وقال المستشار أبو النور أن نظرية لومبروزو تؤيد ما ذهبت إليه
فراصة يوسف ، إذ قضى لومبروزو حياته كطبيب شرعى فى تشريح
جثث المجرمين وتدوين ملحوظاته على السمات المشتركة بينهم فى
العلامح والصفات الجسمانية .

واستولى هذا الموضوع على اهتمامنا تماما ، ولعل ما ضائقنا هو
أن سيف الدين كان يأتى إلى النادى بشكل غير منتظم . نراه ليلة
وينقطع ليالى ، ولم نكن نعرف عنه إلا أن اسمه سيف الدين ، وأنه
كان يجلس إلى مائدة مجاورة لنا ذات ليلة ثم انتقل إلى مائدتنا
يشاركنا الحديث ، وانه صاحب مدرسة فى معاملة المرأة ، وأنه
يطبقها على شريكة حياته دورا ويزهو بذلك .

فى الليالى القليلة التالية التى تردد فيها على النادى بعد ذلك
راقبنا تصرفاته بدقة ، وكان فخره بإهانة دورا يتصاعد كلما وجد
لكلامه وجوها مبهورة لأزواج مغلوبين على أمرهم .

وكانت الليلة الأخيرة التى رأينا فيها سيف الدين سفاح النساء .

أنصتنا إليه وهو يتساءل : لماذا تترين المرأة بالذهب والأحجار
النفيسة ؟ لماذا تحيط معصمها وجيدها وزندها وقدمها بالأساور
والسلاسل والخلاخيل ؟ أنه حنينها الدائم إلى القيود والسلاسل
التي كان يقيد بها الرجل فى العصور الأولى ، هكذا تعتبر المرأة
القيد زينة وجمالا ، فهي خلقت تستعذب الخضوع . . ليتكم
تشاهدوننى فى البيت وأنا اضرب دورا وأهينها . . ومهما فعلت بها ،
فإنها تسعى دائما خلفى تطلب عفوى ورضائى .

لقد رأى المستشار أبو النور فيما قاله سيف الدين مؤشرا واضحا
على ميله الجنونى الى التعامل الدموى مع المرأة ، فاستقر رأيه على

ان يبلغ السلطات بهدف حماية دورا من هذا المجنون ، وعندما لم يعد في المجلس إلا المستشار أبو النور وسيف الدين ، أراد المستشار أن يستوثق من الأمر فسأله :

— ما رأيك في شهر يار ؟ .. هل تروك شخصية شهر يار سفاح النساء ؟

— بل تروقني شخصية شهر زاد .

— لماذا ؟

— عظيمة . استطاعت أن تعالج شهر يار كأعظم أطباء العصر النفسين .

— ماذا فعلت ؟

— خاطبت فيه الطفل .. ليلة بعد ليلة انكسرت فيه شوكة السفاح وبقي منه الطفل الذي يتوسد حجر أمه وينصت إلى الحوادث والحكايات كل ليلة .. هكذا أصبحت شهر زاد رمزا للام الحنون لا الزوجة الخائنة ، ولهذا أحبها شهر يار . إن الحنان يكسر أنياب أشد الوحوش ضراوة .

— وأنت لم تجد الحنان من دورا .

— واختنق صوته وهو يقول : بل لم أجد دورا نفسها .

— ماذا تعنى .

— دورا تزوجت بالشباب الذي أحبه بعد أن الفت في وجهي بدبلة الخطبة فلم أعرف امرأة بعدها منذ عشرين عاما مضت ...

— لكنهم يقولون أنك تعيش مع دورا ، والذين يحدثونك بالتليفون وأنت في البيت يسمعونك كثيرا وأنت تنهرها .. ثم حديثك الدائم لنا عنها وكيف أنك ..

— قاطعه سيف الدين قائلا .. دورا التي تعيش معي هي كلبة بولدوج .

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المجنون	٧
الحرب	١٧
وقال الدكتور عتريس	١٩
محاكمة على بابا	٣٧
المنفضة	٤٧
كلمني من فضلك	٥٥
مع كل حبي وأكاذيبى	٦٥
والذي جرى لجميلة	٧٣
المهنة من فضلك	٨١
نحن لا نزرع الملل	٨٩
لعبتها	٩٩
ارفع رأسك يا حبيبى	١٠٩
برجك ياروحى	١١٧
معبود النساء	١٢٥



قطاع الثقافة

